الفصل السابع

فى إدارةِ الإنتاج — وفيما للمستحدِث[1] من الشأن

تضافر رأس المال والعمل — المنتج الصغير أو المستقل —
الأسباب التى ترجع ادارة المستحدثين الى رأس
المال — المطلوب من المستحدثات
عقلاً وخلقاً

تضافُرُ رأسِ المال والعملِ — المنتجُ الصغيرُ او المستقلُّ

يَجبُ على العناصرِ الثلاثةِ التى يَصْدُرُ عنها الإنتاجُ ، وهى الطَّبيعةُ والعملُ ورأسُ المالِ أنْ تَتَناسَقَ ، وتتخالَطَ ؛ وتتماشَى متعاونةً

أمَّا الطَّبيعةُ وهى العُنْصُرُ الأَوَّلُ ، فإنها وهى المنفعِلةُ لم تُخلق إلاَّ للمُطاوَعة . نعم انها تَثأرُ[2] لنفسها مِنْ

---

(١) مبتكر المشروع ومديره معاً وهو اسم عامّ لمن يعرّفهُ الاقتصاديون فى الفرنسية بلفظة Entrepreneur ويحسن ان يُجعل لهُ من المترادفات العربية لفظتا مُكافِل ومُلتزِم

(٢) تأخذ الثأر

مُذَلِّلِيها ، بما تُؤَثِّرُه تارةً فى الإنسانِ مِنَ التأثيرِ الخفيِّ ، وطوراً بما تُهَوِّش[١] بهِ عملَهُ أو تُقَوِّضُهُ ، من طُغْيانِ مياهها وتَزَلْزُلِ أركانِها وتَكالُبِ قُواها خالصةً اليهِ مِن قُيودِها . غيرَ أنَّ المدنيَّةَ لا تَبْرَحُ سائدةً عليها مُنْزِلَةً[٢] لها على حُكمها برُغمِ ثوراتِها

ولهذا فالطَّبيعةُ مع أنها العُنْصُرُ الذى لا يَستغنى عنهُ الإنتاجُ ، لا تزال مُطيعةً ، وان تكن طاعتُها لا تَستَتِمُّ

بَقِيَ العُنْصران اللذان لا يَنفكَّان عن التَّناظُرِ وهما : العملُ ورأس المال — كيفَ يُؤَلَّفُ بينهما فيتضافَرا — ولأيِّهما تكونُ الوِلايةُ على الآخرِ ؟

قبلَ الرَّدِّ على هذا السُّؤالِ يَجِبُ أن نَستثنيَ مِن دائرتهِ واحداً من المُنتِجين ، وهو المُنتجُ المنفردُ أو المستقِلُّ : كالمالك الصَّغير ، والخيَّاطِ الصغير ، والاسكافِ[٣] الصغيرِ ، وحمَّالِ الماء ، إلى كلِّ ذى مِهْنَةٍ يَنفرِدُ بها ولا مِعْوانَ لهُ

---

(١) هوَّش القواعد — خلطَها (٢) أنزله على حكمهِ — أخضعَهُ

(٣) الإسكافُ صانع الأحذية

فيها سوى امرأتهِ أو أطفالهِ . أولئك يكونُ الواحدُ منهم هو المُموَّلُ وهو الصانعُ جميعاً . فبين الصِّفتينِ اللتَّينِ تتمثَّلانِ بهِ ، ائتلافٌ لا يَشُوبهُ اختلافٌ

قد يَرَى أُناسٌ أنَّ المنتجَ حقَّ[1] المنتجِ ، مَنْ توافرت فيهِ هاتانِ الصِّفتانِ . وذلك لأنَّ تَصوُّرَه على هذا النَّحوِ مما يَقَعُ تحتَ مألوفِ العقلِ

على أنَّ هـذا عينُ الخطأ ، لأنَّ المنتجَ المتفرِّدَ أو المستقلَّ لا يُحتَمَلُ وجودُه بالمعنى الأتمِّ . أمَّا أوَّلاً : فلأنَّ أكثرَ الأعمالِ مما لا تَستقِلُّ بهِ عزائمُ فَرْدٍ واحدٍ ، أو أُسْرَةٍ واحدةٍ ، وأمَّا ثانياً : فلأنَّ مُعْظَمَ الأعمالِ يُعْوِزُها رأسُ المالِ ، ورأسُ المالِ لا يَجْمَعُهُ النَّاسُ جَمْعاً سواءً ، لِما بينهم مِن اختلافِ الاستعدادِ الفِكريِّ الذى يَدْفَعُ إلى الادِّخارِ ، والاستعدادِ الجُثْمانيِّ الذى يُمكِّنُ منهُ ، ولتفاوتِ درجاتِهم فى ذلك الاستعدادِ

---

(١) يقال حقُّ الشيء اذا كان الشيء على أتمّ مثال في نوعهِ كما يُقال الرَّجل حقُّ الرَّجل أو الفاضل حقُّ الفاضل لمن كملت رجولته وكمل فضله

فكثيراً ما يَتفِقُ أنَّ أُناساً لم يُنْتِجُوا رأسَ مالٍ أو لم يَحتفِظوا بهِ أو لم يُصيبوا منهُ إلاَّ ما هو دونَ الزَّهيدِ ، وأنَّ آخرين يَملِكونَ منهُ قليلاً ، وأنَّ فريقاً غيرَهم يَملِكونَ منهُ مقاديرَ طائلةً ، ويَتفِقُ أيضاً أنَّ بعضَ الأعمالِ تَستلزِمُ نَفقاتٍ جسيمةً ؛ فيتأتَّى من هاتين الحالتين ، أنهُ لا يَتيسَّرُ ان يكونَ جميعُ العاملين مُنْتِجينَ منفرِدِينَ أو مُستقِلّين ، ولا أنْ يكونَ كلٌّ منهم قادراً على مِلْكِ العناصرِ الثلاثةِ التي يَصدُرُ عنها الإنتاجُ ، والاستيلاءِ على إدارتها في آنٍ

الأسباب القاضيةُ بولايةِ رأسِ المال على المستحدَثات

لا بُدَّ للتأليفِ بين العملِ ورأسِ المالِ في المستغَلاَّت ، من ترتيبٍ يَتغلَّبُ فيهِ أحَدُ هذين العُنْصُرين على الآخرِ . وهذهِ الغَلَبَةُ تَتعيَّنُ لرأسِ المالِ أو لأَرْبابِهِ بأسبابٍ جَمَّةٍ

إذا تَلاقَى رِجالٌ في مَصنَعٍ ، كانَ بعضُهم أَوْلَى من بعضٍ بإدارتهِ ، وذلكَ لِما لهُ مِن السَّوابقِ ولما بين يَديهِ من المواردِ ولما يَتعرَّضُ لهُ من الأخطارِ

فَمَنْ تَوَلَّى فى النِّظَامِ الاجتماعيّ رَأسَ عملٍ صِناعيّ أو تجاريّ أو زِراعيّ سُمِّى مُستَحْدِثًا

فلنَتَبَيَّن ما هو المستَحْدِثُ وما الفرْق بينه وبين الصَّانعِ أو جُمْهُورِ الصُّنَّاع

للمُستحْدِث شؤونٌ متنوّعة ؛ منها أن يكون مبْتكِرًا يَبتكِرُ عملاً مُنْتِجًا ويُعِدُّ لهُ مُعَدَّاتهِ بأن يقولَ مثلاً : يجوزُ ان يُحتفَرَ منْجَمُ فحمٍ أو يُبْنى مَصْهَرٌ فى جهةِ كذا من قُطْرِ كذا ؛ لِما هُنالكَ من الأَحوالِ الطَّبيعيةِ والاقتصاديةِ التى تُوافِقُ استخراجَ الفحمِ أو الحديدِ رخيصاً متحتّماً نَفَاقُهُ[1] فى إِحدى الأَسواق القريبة أو البعيدة ؛ ثمَّ بأنْ يُوازنَ بين نَفَقاتِ البضاعةِ والأَثمانِ التى تُباعُ بِها ؛ ثمَّ بأنْ يُفكّرَ طويلاً فى تخطيطِ خُطَطِهِ وتحقيق صحّتها

فإِذا فَرَغَ من كلّ ذلك وتحقّقتْ أُمْنِيَّتُهُ ، وَجَبَ عليهِ أنْ يَستمرَّ على تفكيرهِ وتَدْبيرهِ طِوَالَ المدّةِ التى تَدُورُ فيها تلكَ الصِّناعةُ

---

(١) النَّفاقُ الرَّواجُ

إذاً فالمستحدِثُ من الصُّنَّاع بمنزلةِ الدّماغِ من سائرِ أعضاءِ الجسمِ

على أنَّ المستحدِثَ بعدَ أنْ ينْجِزَ وَضْعَ الخُطَطِ ، يُضطرُّ إلى إيجادِ العُنصُرين الآخرَين المنتِجين : وهما العُمَّالُ ورأسُ المال

ومعنى رأسِ المال هنا ، الذَّخائرُ والأدواتُ والموادُّ الأوَّليَّةُ بأنواعِها : مِن مِثلِ المبانى والآلات والمحترقاتِ وجميعِ ما يَدخُلُ فى صناعةِ الصِّنْفِ المنْشُودِ[1] ؛ وكذلك النُّقودُ الكافيةُ لِكفالةِ الإدارة إلى حينِ يَتسنّى الإنتاجُ أى مُهلَةَ ما تَتِمُّ المصنوعاتُ وتُباعُ وتَعُودُ أثمانُها

لَيْسَ مِن الضروريّ ان يكون المستَحدِثُ مُموَّلاً . فإن كانَهُ ، كانَ خيراً ، لأنَّ خبْرَتَهُ وحِكْمتَهُ فى الإدارةِ تكونانِ أوْسعَ وأرْبطَ ، فأمّا إذا فانهُ التَّموُّلُ وتحتَّمَ الرُّكونُ اليهِ على ما فى أمرِه من ذلك المغْمَزِ ، فحسبهُ أنهُ بلَغَ من ثِقةِ المُموَّلين بهِ ما دعاهم إلى ائتمانهِ على نُقُودِهم

(١) المنشود المطلوب

بعد ذلك يَنقُصُهُ انتقاءُ العُمَّال وهم ضروبٌ : منهم ذوو السَّواعِدِ ومنهم ذوو المعرفةِ بالمِهْنَةِ أو الكفاءَةِ لمعرفتها ومنهم العُرَفاءُ أو المقدَّمون ومنهم الرُّقباءُ الأَيْقاظُ النُّزَهاءُ ، وإلى جانب هؤلاء الحَسَبَةُ وسائرُ المستخدَمين الصَّالحين : كلٌّ فيما نُدِبَ لهُ)

(فإذا تمَّ ذلك التَّدبيرُ بجملته ، ولم يكن أحَدُ عناصره جديراً بموضعه منهُ . فبُنيانُهُ متَداعٍ ؛ أمَّا إذا كانَ الابتكارُ قد أُخرِجَ من حيّزِ التَّصوُّرِ إلى حيّزِ التَّجسُّمِ ، فلا بدَّ لتماسُكِهِ وثباتِهِ واستمرارِهِ مِنْ عِنايات لاحقةٍ لا تَقِلُّ عمَّا وصفناهُ من العناياتِ السابقةِ . إذ يَتعيَّنُ على المستَحْدِثِ أن يَحرِصَ جُهْدَه على مجيءِ النَّتيجةِ في آخرِ سنتهِ ، وفيها مَزيدٌ للدَّخلِ على الخَرْجِ ولثمنِ المَبيعِ على ثمنِ التَّكلفَة[1] ، ليستبينَ منها أن عناصرَ الإنتاج قد أُحْسِنَ استخدامُها وأنهُ قد تمَّ التَّوفيقُ بين بعضها وبعضٍ ، وأنهُ لم يَقَعْ سَفَهٌ جالِبٌ للخسارة

---

(١) المشقة ويدخل فى معناها النفقة

فَذِهْنُ المستحدِث أشبهُ شيءٍ بالمرآةِ التى تَتَنَظَّرُ [١] فيها جميعُ عناصرِ الإنتاجِ وجميعُ نتائجها ؛ وعلى كاهلهِ تَبِعَةُ كلّ إفراطٍ أو تفريطٍ، فإمّا ان ينتفعَ بالرّبح وإمّا ان يتحمّلَ الخُسْرانَ

مِنْ هذا التَّفْصيلِ يَظْهَرُ الفرقُ بين شأن المستحدِث فى حقيقتهِ وبين الشَّكلِ الذى يُمَثِّلُهُ فيهِ فريقٌ مِنَ الاشتراكيّين الأَلمانيّين، يَزْعُمُون أنهُ رقيبٌ، أو ناطور [٢] أو مُرْتَزِقٌ طُفَيْلِيٌّ

مع أَنَّ المستحدِثَ إنما يُقْبِلُ على الإنتاجِ : برأسِ مالهِ أو بما جَمَعَتْ تحتَ يَدهِ ثِقةُ الآخرينَ بهِ مِنْ رؤوسِ أموالهم، وبابتكارِ عقلهِ، وبحِذْقِهِ فى المُلاءَمةِ والتَّدْبير، وبكفاءَتهِ التِّجاريةِ من حيث إتقانُ البيعِ وإتقان الشّراء، وبعُنْصرٍ يَفُوقُ تلك العناصرَ، وهو سُمْعَتُهُ

فإذا أخفَقَ الإنتاجُ على يدهِ واختُتِمَ بخسارةٍ، أعْسَرَ بعدَ مَيْسِرَةٍ، وربما كانَ مُعاقِدًا على أُمورٍ لم يَستطع

---

(١) تتنظر أى تتراءى (٢) الناطور والحارس بمعنى

إنفاذَها فيُشْهِرُ إفلاسُهُ ، ويُنْكَبُ فى سمعتهِ وهى شرفُهُ

ومن هنا يُرَى أنَّ القوانينَ مُوقِعَةٌ على المستحدِثِ مِن التَّبِعَةِ المعنويَّةِ ما تَرْبُو قوَّتُهُ على مَزِيَّةِ الولايةِ التى تُمتِّعُهُ بها

كلّما ازدادت المدنيَّةُ ، اتَّسعت السُّوقُ وتعدَّدَت المستنبَطاتُ ، وتفاقمت المشقَّةُ على المستحْدِث بما لا يُبقى ظِلاًّ للمُشاكَلةِ بين حالتهِ وحالةِ الصَّانع : ذلك لأَن الصّانعَ لا يَعْنيهِ شىءٌ مِن الوجهةِ التّجاريَّةِ التى لها اكبرُ تأثير فى نتائجِ المستحدَثات ولا يَعْنيهِ تسليفُ[1] النَّظر فى الآفاتِ والنَّوائبِ المتتابعةِ التى تَعتَورُ الإنتاجَ ولا الاهتمامَ بتبديلِ خُطَّةِ العملِ أو تعديلِها تعديلاً مُناسباً للضرورات التى تَطرأُ على التّواتُرِ

بل وظيفةُ المستحدِث تُوجِبُ عليهِ الاتّصافَ بصفاتٍ هى غيرُ تِلكَ التى تُطلَبُ من الصّانع ؛ فلا بدَّ لهُ من أن يكون نشيطاً كأنشطِ الصُّنّاع ؛ مع خُبْرَةٍ ومعرفةٍ

---

(١) التسليف هنا بمعنى تقديم

يَجْمَعُ اليها مِنْ مَزايا العقْلِ والخُلُقِ ما يَنْدُرُ وجودُه فى الرِّجال ؛ ومن صَلابَةِ الإرادةِ ما يَعْصِمُهُ من الاستسلامِ للأَهواءِ ؛ ومن عزيمةِ الرأْيِ ما يُرْشِدُه وشيكاً [١] إلى أقْوَمِ طريقةٍ

ومثْلُ هذا التَّخالُفِ يكون أيضاً بين مُدِيرِ المصنَع ، وبين المستَحْدِث : لأَنَّ مديرَ المصنَعِ لا يَحتاجُ إلاَّ إلى بعْضِ الخِلالِ التى يَجِبُ أنْ تَتوافرَ فى ذلك المبتَكِرِ الذى تَقْضِى عليهِ مُهِمَّتُهُ بأن يَتبيَّنَ حاجاتِ النَّاسِ عند مَظِنَّاتِها ، ويُتابِعَها فى تحوُّلاتِها ، ويَرْقُبَ أسعارَ المنتَجاتِ فى حرَكاتِها ، ويَكْتَمِلَ عنده حِذْقُ التَّاجرِ وحِذْقُ المديرِ

الصِّفاتُ التى عدَّدْناها وفَصَّلْناها لا مندوحةَ عنها ، وان تَفاوتَتْ درجاتُها بتفاوت أقدارِ المستحْدَثات ، لجميع الذين يُؤَسِّسونَ مَعاهِدَ صناعيَّةً أو تِجاريَّةً أو زِراعيَّةً . فإذا سُئِلنا هاهنا لماذا تَؤولُ إدارةُ الإنتاج إلى المستحْدِثين دونَ الصُّنَّاع ، أجبنا : أنَّ إحكامَ الإدارة والتَّدْبير

---

(١) وشيكاً سريعاً

لا يُرْتجَلُ ولا يَتجزَّأ ، فإنما هو عقليٌّ ، يتفوَّقُ على الإتقانِ الحِسّيّ ؛ وأن الإنسانَ الذى ابتكرَ فِكرةَ مَصنَعٍ مُنتِجٍ ، وجمَعَ العناصرَ التى تُكوّنهُ ، وارتهَنَ بنجاحهِ إمَّا ثروتَهُ أو سُمعتَهُ ، أو كلتيهما معاً ، أجدرُ بداهةً بإدارتهِ من الذينَ دعاهم ، فأجابوا ، وقسَّمَ بينَهُم أجزاءَ العمل فقامَ كلٌّ منهم بجزءٍ من مجموعهِ ، ولم يَمْنَحُوا المستَحْدِثَ إلاَّ معُونَةً بدَنيَّةً أو معنويَّةً محدودةً

ولا بأسَ مِن القولِ استطراداً أنْ لا مُقارَنةَ ولا مُشابهةَ بين الصِّناعةِ والتِّجارةِ والزِّراعةِ وهى أعمال سِلْمٍ ، وبين الأناظيم (١) العسكريَّةِ وهى أعمالُ حَرْبٍ . فإن تلك يُؤْخَذُ رِجالُها اختياراً ، وأمَّا هذهِ فيُؤْخَذُ رجالُها اضطراراً . غير أنَّ للفصيلتين ضرورةً مُشتَرَكةً وهى ان تُعْطَى الولايةُ العُليا فى كلٍّ منهما لِلأَخلَقِ بها ، إذ يَنْبغِى للقائدِ الماهرِ

---

(١) أناظيم وأنظِمةٌ جمع نِظام وقد فات القلمَ أن يجمعَها على هذا الجمعِ فى صفحة (١٠٢) سطر (٢) فجرى فيها على الخطإِ المشهورِ وجمعَها على نِظامات

وللمُستصنِعِ البارعِ، أن يَتَّصِفَا بصِفاتٍ راقيةٍ تَنفُسُ[١] عن ان يُشارِكَهما فيها إلاَّ النَّادرُ من رجالِها

وعُيونُ تلك الصِّفاتِ ثلاثٌ: بَراعةُ الملاءَمةِ وقُوَّةُ الاستِشْعارِ[٢] ومَتانةُ الرأيِ

لو تَسَنّى لأُمَّةٍ ان يُوجدَ فيها اثنا عَشَرَ رَجُلاً مِن المستحْدِثينَ المَهَرَةِ — لا نَتَطَلَّبُ عشراتٍ ولا مِئينَ — لاستطاعوا، بتحسينِهم طرائقَ العملِ، وبتيقُّظِهم المستمرِّ لمنعِ التَّبديدِ، وببحثِهم عن أصلحِ الأَسواقِ التى يَبْتاعُونَ الموادَّ الأَوَّليَّةَ منها، وأصلحِ الأَسواقِ التى يَبيعونَ بَضائِعَهُم فيها، أنْ يُنمُّوا ثَرْوةَ البلدِ[٣] الذى يكونونَ فيهِ ومَقدرتَهُ الصِّناعيَّةَ تَنميةً غيرَ محدودةٍ

---

(١) نَفُسَ الشىء نَفاسةً — كان نفيساً وهى بمعنى كَرُمَ

(٢) الاستشعارُ الشُّعورُ بالشىءِ قبل وقوعِهِ

(٣) البلد يأتى بمعنى القطر والأقليم والمملكة

الفصل الثامن

تجزئة العمل

تنظيم العمل — تعاون العمال او العمل المشترك — تجزئة العمل — فوائد هذه التجزئة — تجزؤ العمل تبعا للمواطن — تجزؤه تبعاً للارث — شرائط تجزئة العمل وقول النقاد فيها — مقدمات هذا النظام الصناعى

تجزئة العمل

أمران خاصّان ، من لوازمِ الفُروع المتفرّعة عن نِظام الاستثمارِ، يُؤثّران في إنتاجِ كلِّ صنيع : نَعْنى بهما تجزِئةَ العملِ، واستخدامَ الآلاتِ

أثبتَ الاقتصاديُّون أنَّ العملَ فى المجتمَعاتِ الحاضِرَةِ ، أصبحَ مُنَظَّماً ، وأنكرَ الاشتراكيُّون عليهم ذلك وقالوا إنهُ فى حاجةٍ إلى الإصلاحِ

الحقيقةُ أنَّ العملَ ، فى الأمَمِ المُتحَضّرةِ المخترِعةِ ،

لا يَستقِرُّ على حالٍ ، فنِظامُهُ أبداً فى تَعْديلٍ وتَبْديلٍ ، بتبعيَّتِهِ للطَّرائقِ المستجدَّة ، وجمعِهِ بين التركيب فى المجموعِ والبَساطةِ[١] فيما يُخَصُّ بهِ كلُّ فَرْدٍ

مَنْ نَظَرَ نظْرَةَ[٢] إشرافٍ ، إلى هَيْكلٍ صِناعيٍّ كبيرٍ ، كَمَصْهَرِ (الكريزو) وملْحقاتِهِ ، حارَ فِكْرُه واختلط ذِهْنُهُ ، تِجاهَ ما يَراه من تَعَدُّدِ العُمَّالِ وتَبايُنِ ما يَفْعلُون ، وكادَ يَعْتقِدُ أنَّ مَحْفِلاً كهذا لا يَخْلُو مِنَ الفَوْضَى ؛ فإذا رَنَا[٣] مِنْ كَثَبٍ[٤] ، ودَقَّقَ فى التَّفصيلِ بعدَ إجمالِ النَّظَرِ ، راعَهُ ما يَجِدُه مِنْ أنَّ لكلِّ فَرْدٍ هناك صَنْعَةً مَرْسُومةً ، محدودةً ، مُتماثِلَةً . وبهذا الأُسلوب تَنَسَّقَتْ لذلك المستَحْدَث الضَّخْم مَزِيَّتا الصِّناعةِ العَصريَّةِ وهما : التركيبُ ، والبَساطةُ ، فكانَ بِهما عَجَباً من العَجَبِ

---

(١) البسيط هنا بمعنى غيرِ المركَّب – اصطلاحٍ مَنطِقيٍّ جرينا عليهِ ؛ كما جرينا على قولهم – طبيعيٌّ – عند النِّسبةِ الى الطَّبيعة تفادياً من اللَّبْسِ وان كان الصَّوابُ طَبَعِيًّا (٢) نِظرةَ اسم مَرَّةٍ مِن نَظَرَ (٣) أدام النظر (٤) الكَثَبُ القُرْبُ

على أنَّ الإنتاجَ ينمُو نموًّا غيرَ منحصرٍ، حين يُقيَّضُ لهُ تعاوُنُ العاملينَ وتجزئةُ الصَّنعاتِ فيما بينهم . وهذان الشَّرطان يتجاوَران لكنَّهما لا يتشابهان

العملُ المشترَكُ

مِنَ الأعمالِ ما لا يُتِمُّهُ الرَّجُلُ الواحدُ فى مائةِ يومٍ أو ألفِ يوم، ويأتى[1] عليهِ العشرةُ أو العشرون من الرِّجال فى يوم أو يومين

لو اجتمعَ خمسةُ نفرٍ، يرْفعُونَ أثقالاً ، أو يقْتلِعُونَ شجَراً ، أو ينْشرونَ حطباً أو حِجارةً ، أو يُكدّسون تبناً أو قمحاً ، لفعَلوا مِنْ ذلك متُضافرين ، ما لا يفعلهُ أمثالهُم متُفرّقين ، فى الوقتِ الواحد

ولو انتدَبَ رَهْطٌ مِنَ النَّواتيّ[2] — عشرةٌ أو دونَ العشرةِ — أيامَ كانت الصناعةُ أوّليّةً ، والآلات غيرَ مُرَكَّبة ، لِوَسْقِ مركَبٍ كبيرٍ مِنْ بضاعةٍ ما ، لشَحنوها

---

(١) يأتى عليهِ أى يُنجِزُهُ (٢) جمع نوتيّ — المَلاَّحون

بأسرعَ مما يَشْحنُها أمثالُهم فى عشرةِ مَراكبَ صغيرةٍ

ومن مُرَجّحاتِ العملِ المشترَك ، إمكانُ استمرارِه ، لِتعاقُبِ الرّجالِ عليهِ ، بعضُهم يَكِدُّ وبعضُهم يَستريحُ . فإذا سارَ عشرةٌ مِنَ القذّافين بمركبٍ كبيرٍ ، استطاعوا أنْ يُثابِرُوا فى كرّتِهم (١) عشرَ ساعاتٍ أو عشرينَ ساعةً بفَضْلِ تَناوُبِ النَّواتيّ ، على حينِ أنهم لو تفرّقوا وكانَ كلٌّ منهم يَعْمَلُ فى مَركبٍ صغيرٍ ، لَتَعَذّرت عليهم تِلكَ المُثابَرَةُ

فالقوّةُ التى نَجتمعُ من تَعاوُنِ خمسةِ رجالٍ ، أو عشرةٍ أو عشرين منهم ، تكونُ إذاً ، فى كثيرٍ مِنَ الأحوالِ ، فوْق ما تَبلُغُهُ ، فى نتيجتِها ، قُوَى أمثالِهم مُتفرّقين

وهذا سببٌ مِن الأسبابِ التى لأجلِها يُزادُ قَدَرُ الإنتاجِ فى كلِّ بَلَدٍ ، بقَدْرِ ما يَألَفُ أهلُهُ الاشتراكَ ويَسكنونَ إلى التّعاوُنِ

---

(١) الكرّةُ الرّجعةُ أو المرّةُ

تَجزِئةُ العملِ

تَجزِئةُ العملِ ، وبالتَّبعيَّةِ لها تَفرُّقُ الصنَعاتِ ؛ إنما هى حالةٌ من غيرِ النوْعِ الذى تَقدَّمَ ذكرُه ، ولها نتائجُ أشَدُّ فِعلاً

قِوامُ هذهِ التَّجزِئةِ تحليلُ العملِ إلى صنَعاتٍ متُخالفةِ الطَّبائعِ ولكلٍّ منها فَعَلةٌ خِصِّيصون ، كما يكونُ ذلك فى مَصْنعِ السَّاعاتِ مَثلاً : فإنَّ هنالكَ فَرْداً يُخرِجُ صِوانَ [١] السَّاعةِ ، وثانياً يُخرِجُ مِيناَها ، وثالثاً يُخرِجُ إبرَها ، ورابعاً يُخرجُ النَّابِضَ [٢] الأكبرَ فيها ، وخامساً يُخرجُ دواليبَها الصَّغيرةَ ، وسادساً يُؤَلِّف بين أجزائها تلك ويُتِمُّ تركيبَها

على أنَّ هـذا التَّمْثيلَ الذى مثَّلناهُ غيرُ مُنْطبِقٍ على الحقيقةِ إلاَّ من بعْضِ الوجوه ؛ لأنَّ العملَ فى المصانعِ الحديثةِ ، مُجزَّأٌ إلى أكثرَ ممّا وصفناه ؛ حتى انك لتَجِدُ

---

(١) محلّ صيانتها (٢) الزنبلك أو الدقّاق

فى مَصانعِ السَّاعاتِ « بلُنْدُن » مائةَ جُزْءٍ وجُزْئين قد نِيطَ كلٌّ منها بفَعَلةٍ خِصِّيصين . ولعلَّ الأَمريكيِّين الذين بَرَّزُوا[1] فى رُخْصِ الساعاتِ ، زادوا على هذا القَدْرِ فى تَعْديدِ الأَجزاءِ

بهذهِ الوسيلةِ يُرَدُّ أعْقَدُ الأَعمال ، كَبِنَاءِ قاطِرةٍ أو تركيبِ ساعةٍ ، إلى سلاسِلَ مِنَ الحركاتِ البسيطةِ المتشابهةِ ، يَقُومُ بها العشرون أو الأَرْبعون أو المائةُ من الخِصِّيصينَ فى مِهْنَتِهم ، بِتَرْدِيدِهم لها استمراراً إلى نِهايةِ أمَدِهم[2]

ولا يَدُلُّكَ على المنافعِ الجليلةِ التى تَنْجُمُ مِنْ تجزئةِ العملِ مِثْلُ قَوْلِ (آدَم سمِث) إنَّ تِلكَ التَّجْزِئَةَ تَكاد تكونُ الأَساسَ للاقتصاد بأسْرِهِ . على أنَّ لها مِنْ جانبٍ آخرَ ، نَقائِصَ يُنكرُها العقلُ والاجتماعُ ، ويَجْدُرُ بأهلِ الذِّكرِ ألاَّ يَغُضُّوا النَّظَرَ عنها

---

(١) بَرَّزَ فى الشىء أى بَرَعَ غيرَهُ فيهِ

(٢) الأَمَدُ هنا بمعنى الغايةِ

مزايا تجزئة العمل

اليكَ بيانَ تلك المزايا :

١ً — أنها تَزيدُ فى مَهارةِ الصَّانعِ ، يَدَوياً كانَ عملُهُ أو ذِهنياً ، لأَنَّ العَصَبَ والفِكرَ يَلِينان ويَمرُنان مع الرِّياضةِ ، ولأَنّ الحركاتِ التى تُعادُ بلا انقطاعٍ ، تُصبحُ آلِيَّةً بسرعتها ودِقَّتها

أُنظر إِلى الدَّليلِ فى سُهولةِ مشيهِ ، وإِلى الملاَّحِ فى بُعْدِ نَظَرِه ، وإِلى رابطِ الخيوطِ بجانب المِنْوالِ فى تَخَطُّفِ يدهِ ، وإِلى المحامى فى تَدَفُّقِ كلامهِ ، وإِلى الحاسِبِ فى سُرْعةِ إِخراجِ أَرقامهِ ، وإِلى الضَّرَّابِ فى أَفانين لمسهِ لِمِضْرَابهِ[1] ؛ كلُّ أولئك مِنَ الأَمثلةِ التى تَدُلُّكَ على ما يَبلُغهُ من المهارة ، كلُّ ذى مِهْنةٍ يُواظِبُ عليها مع استعدادٍ لها فيهِ

---

(١) كانت للعرب آلة وَتَرِيَّةٌ تُعرَف بهذا الاسم وقد دَثَرَتْ تلك الآلةُ واستعرنا اسمها للبيانو بمسوّغ انهُ آلةٌ وَتَرِيَّةٌ مثلُها

٢ً — أنها تَصونُ الوقتَ من الضَّياعِ : إذ لا يُكلَّفُ العاملُ تغييرَ مكانه ، ولا تبديلَ أداتِهِ ، بل العكوفَ على حَدَثٍ يُحْدِثُهُ ، واستخدامِ آلةٍ دونَ سواها

٣ً — أنها تَختَصِرُ زمنَ التَّخرُّجِ [١] ، وفى هذا نفعٌ كبيرٌ وضررٌ معاً : كانَ من الضرورىّ فى الازمنةِ السالفةِ قَضاءُ أربعِ سنين أو خمس سنين للخُرُوج [٢] فى مِهنةٍ : وكانَ فى ذلك ما فيهِ من الكُلْفةِ [٣] على الصانعِ وأهلِهِ

أمَّا الآن فإنَّ الفتى لا يكادُ يَقْضى بِضْعةَ أشهرٍ حتى يُصبحَ صالحاً لإتقانِ الجزءِ الذى يَقَعُ اليهِ ، وإصابةِ الأَجْرِ عليهِ . فهو يَكْسِبُ رِزْقَهُ بأسرَعَ مما كان . والإنتاجُ يَستفيدُ منهُ فى جانب كثرةِ الكميَّةِ ورُخْصِ الثَّمَنِ

إلاَّ أنَّ الفاعِلَ — وهذه حالهُ — لا يَتعلَّمُ مِهنةً برأسها ، ورُبما ألفيتَهُ [٤] فى مدينةٍ اشتهرت بِصُنعِ

---

(١) تعلُّم الصناعة Apprentissage (٢) معرفتها والحذق فيها

(٣) الكُلْفَةُ المَشَقَّةُ (٤) وجدتهُ

الأَقفالِ كمدينة « وُولفِرهَمْتون » لا يُحْسِنُ إِخراجَ قُفْلٍ تامٍّ بعدَ مُزاوَلتهِ عشرَ سنين لِجزءٍ من هذه الصناعةِ فى ذلك المعهدِ

وفى حالته هذه ما أشرنا اليهِ مِنَ الضررِ الذى لا يَقْتصِرُ على إِخمادِ الذّهنِ فى الفاعلِ ؛ بلْ يَشُوبُ البِضاعةَ نفسَها بنَقْصٍ أو بتَشويهٍ

٤ً — أنها تُجيزُ استبدالَ الآلاتِ بالأَيدى : وهو الأَمرُ العجيبُ الذى يَحْدُثُ منذ عشرين سنةً فى صناعةِ السّاعات بالولايات المتّحدة ؛ فكانَ من ذلك رُخْصٌ وراءَ المأمولِ يُمكِنُ معهُ اقتناءُ المُعَلَّقَةِ [١] بثمانيةِ فرنكات أو عشرةٍ ، وساعةِ الجيْبِ ، بخمسةِ فرنكات أو ستةٍ

وفى هذا المقامِ يَحْسُنُ التّنبيهُ على أنهُ إِذا كانَ نفعُ التّجْزِئَةِ ما قدّمناه ، فليْسَ المرادُ بهِ أَن الصُنّاعَ الجزئيين ، هم الذين يأتون بالمخترَعات الكبرَى ؛ بَلْ يُوفّقون فى

---

(١) الساعة التى تُعلَّق Pendules

الغالب ، إلى اختصاراتٍ فى الصنعة ، يُسمُّونها بخطفات اليدِ ، ومعناها الحِيَلُ

ولمَّا كانت التَّجزئةُ طريقةً تحليليَّةً للعمل ، كانتْ بتسهيلها وتوْحيدِها كلَّ سلسلةٍ مِنْ سلاسلِ الإنتاجِ المُركَّبِ ، تُسهِّلُ أيضاً إحلالَ الآلات محلَّ الأيدى

واستخدامُ الآلات إنما يكونُ نافعاً حيث تكونُ الأجزاءُ قد تناهت فى البساطةِ والتَّشابُهِ والقابليَّةِ للإعادةِ؛ فهى تُساعِدُ على استخدامِ كلِّ صانعٍ بحسب استعداده ، خصوصاً على الانتفاعِ بالضُّعفاءِ مِنَ الرِّجالِ أو بالنِّساءِ والأطفالِ . على أنَّ لهؤلاء الضُّعفاءِ مكانةً جليلةً مِنَ الصناعةِ البيتيَّةِ ولا سيما فى المزارعِ . غيرَ أنَّ الإنتاجَ بقدْرِ ما تتجزَّأُ فيهِ الأعمالُ ، تزدادُ حاجتُهُ إلى سواعِدِهم

تجزُّؤ العمل تبعاً للمواطنِ

قد يتجزَّأُ العملُ تبعاً للمواطنِ كما يتجزَّأُ تبعاً للأفراد ، ويكون إذاً لذلكَ مِنَ العِلَلِ الطَّبيعيَّةِ والتَّاريخيَّةِ ، ما

تَصْعُبُ مُعارضتُهُ وتَطُولُ . فمن تلك العِلَلِ الطَّبيعيَّةِ تأثيرُ الجوّ ، ومنها اختلاف التُّرْبَةِ : وحَسْبُكَ من هذين السَّببين أنكَ لا تَجِدُ الحديدَ والفَحْمَ الحجريَّ والقُطْنَ والعِنَبَ والبُنَّ فى كلِّ مكانٍ

أمَّا التَّقَدُّمُ الاجتماعيُّ وسُهولةُ المواصلاتِ ، فلم يكن لهما مِنَ الأثرِ إلاَّ زيادةُ ذلك التَّجزُّؤ . وقد أتى عهدٌ كانت فيهِ — والبَلَدُ واحدٌ — جميعُ المقاطعات الفرنسيَّة التى هى على البحرِ المتوسِّط لا تُنْتِجُ إلاَّ الخمرَ ، و « نُرْمَنْديا » لا تُعنَى إلاَّ بالقيام على المواشى وإخراج الألبانِ ونبيذِ التُّفَّاحِ ، و « البُوس » لا تُصَدِّرُ إلاَّ القَمْحَ ولحمَ الضأنِ والدَّجاجِ

بل من جهات « نُرْمَنْدِيا » ما تمادَى فى الاختصاص كما فعلَ سكَّانُ « الأُوج » ، فقد قَصَرُوا حِرْصَهم على عَلَفِ السَّائمة من غيرِ التفاتٍ إلى استيلادها وتربيةِ صِغارِها ؛ ومن مراكزِ تلكَ المقاطعةِ ، أمثالِ « الكينتانتين » ، و « المايين » و « اللّيموزين » ما أهْمَلَ العَلَفَ ، واشتغلَ بتَنْمِيةِ الماشيةِ

هذا شأنُ التَّجزُّؤ فى جانبِ الزِّراعةِ وتجدُ مثلَهُ فى جانبِ الصِّناعةِ . فإنَّ خمساً أو ستّاً مِنَ المقاطعاتِ التى حاضِرتُها « ليون » قد تحرَّرت[1] لنسج الحريرِ ولكنَّها أهملَت تربيةَ دُودِ القزِّ ؛ وأنَّ مُقاطعتين من « نُرْمَنْدِيا » ومقاطعتين من شمالِ فرنسا ، وبعضاً من مقاطعات شرقِها ، انقطَعَتْ لِنَسْجِ القُطن ؛ وأنَّ طائفةً أُخرى من مُقاطعات ذلك الشرقِ ومن مُقاطعات « نُرْمَنْدِيا » فَضْلاً عن خَمسٍ أو ستٍّ من المُدُنِ ، لا عِنايةَ لها إلاَّ بحِياكةِ الصُّوف ؛ بلْ أغرَبُ مِنْ ذلك أنَّ صِناعةَ الصُّوفِ المَمْشُوطِ ، والمَرينوس[2] ، والفانِلاَّ[3] ، قد انحصرتْ فى مدائنِ « فُوزمي » و « كاتُو » و « رِمْس » و « رُوبه » ؛ على حينِ أنَّ صِناعةَ الصُّوفِ المغسولِ ناميةٌ فى مدينتَىْ

---

(١) تجرَّدَت له وانقطعت — قال الله تعالى إنى نَذَرْتُ لَكَ ما فى بطنى محرَّراً (٢) نسيج معروف سُمِّيَ باسم الأغنام التى يؤخذ منها (٣) (الفانلاَّ) وزان (باقلاَّ) لم نجد بأساً من اثباتها

« البُوف » و « سيدان » وبلادٍ أُخرى

هـذا التَّجزُّؤ فى العملِ يَغْلِبُ أنْ يبقى ، وقد زالت الأسبابُ التى تأتَّى عنها . على أنَّ فى بَقائهِ منافعَ للنَّاس : منها أنَّ المستصنِعينَ والصُّنَّاعَ يَزْدادونَ حِذْقًا ؛ وأنَّ المُغايَرَةَ تَشتَدُّ فتُعجِّلُ الرُّقِيَّ ؛ وأنَّ التُّجارَ تَسْهُلُ عليهم مُهِمَّتُهم ، فيَستطيعونَ فى يومٍ أو يومين ، أن يتفقَّدُوا معاملَ الصِّنف الواحد فى « روبه » و « البُوف » ، دُونَ أن يجوسوا خِلالَ البلاد المتفرِّقةِ فى أنحاءِ فرنسا

غيرَ أنَّ للنَّفع المذكور ما يُقابلُهُ مِنَ الضَّرَر : فإنَّ الأزماتِ التِّجاريَّةَ إذا أصابتْ صِناعةً مُعيَّنةً ، كانتْ كوارثُها أشدَّ وطأةً على الأَرْجاءِ الخصيصةِ بتلك الصناعة . مثال ذلك ما حلَّ بأنحاء « السِّين الأَدْنى » مِنَ الأَزْمَةِ القُطنيَّة بين سنةِ ١٨٦٠ وسنة ١٨٦٥ ، وما جرى لجنوب فرنسا من آفةِ الكَرْمِ المعروفةِ (بالفِيلوكْسيرا) . ففى هذه البلادِ يتحتَّمُ مَزيدُ التَّبصُّرِ على المستصنِعين والصُّنَّاع

بَقِيَ أنهُ بِقَدْرِ اتِّساعِ الإنتاجِ فى بَلدٍ مَّا ، يَكْثُرُ

التَّجزُّؤُ الموْطنيُّ للعمـل ، على حَدِّ ما يُشاهَدُ فى انجلترا والولايات المتَّحدةِ

تجزُّؤ العمل تبعاً للإرث

يُضاف إلى ما تَقدَّمَ نوْعٌ ثالثٌ مِنْ تجزُّؤ العملِ ، يُعْرَفُ بالموْرُوثِ ، وهو ما لا تتعذَّرُ إزالتُهُ ، إلاَّ أنهُ نافعٌ

لا يُخلَقُ الانسانُ فى مكانٍ ما ولا فى زمانٍ ما ، منْسلِخاً عن الرَّابطةِ التى تَرْبطُهُ بسلسلةٍ مِنَ الأَجيالِ السَّابقةِ : بل يَرِثُ عن آبائهِ خصائِصَ ، وتلك الخصائِصُ تُؤَثِّرُ فيها مُؤَثِّراتٌ شتّى مِنْ تربيةٍ وبيئةٍ . على أنهُ لو صُرِفَ النَّظرُ عن المزيَّةِ الوراثيَّةِ ، لكانَ لزومُ الصنَّاع ولزومُ المستصنِعينَ للحِرْفة والمحترَف[1] اللَّذَيْن صارا اليهم عن آبائهم ، أمراً مُفيداً بذاته ؛ فقد يتعسَّرُ ارتجالُ مَعْهَدٍ جديدٍ ، فى مكانٍ جديدٍ ، بعُمَّالٍ جُدُدٍ ، يَقْوَى على مُزاحمَةِ أمثاله من المعاهدِ التى عُمِّرَت قُروناً فى مكانها

---

(١) المكان الذى تباشر فيهِ الحرفة

غيرَ أنَّ مِنْ آفاتِ هذا التَّوارُثِ ، استبدادَ العادَةِ بِذِهْنِ العاملِ وتَغلُّبَ الخيلاءِ والزَّهْوِ عليهِ

شرائِطُ تجزِئة العملِ — قولُ النَّاقدينَ فيها

لا تنمو تَجزِئةُ العمل إلاَّ على شرائِطَ قدْ يَصْعُبُ توافُرُها لها في مكانٍ ، وهى :

١ً — كثرةُ الاهلين ؛ وذلك لأَنَّ الديارَ التى يَقِلُّ فيها الدَّيَّارُ[١] ، يَعيشُ فيها النَّاسُ مُفترقينَ ، ويُضطرُّ كلٌّ منهم الى مزاوَلةِ طائفةٍ من الحِرَفِ ، أو من التِّجاراتِ

٢ً — سُهولةُ المواصلات

٣ً — استفاضةُ رؤوسِ الأموالِ

٤ً — شيءٌ من العِرْفانِ مع تَثْقيفٍ فى الأذهانِ

أمَّا المآخذُ التى يأخُذُها النُّقَّادُ على تجزِئةِ العملِ فهى فى ما يلى :

١ً — يَزْعُمونَ أنَّ المغالاةَ فى التَّخصيصِ متْلَفَةٌ

---

(١) الدَّيَّارُ — السَّاكن

للمرء جسماً وعقلاً ، ويقولونَ إنهُ بها يتحوَّلُ إلى أداةٍ حيَّةٍ ، وإنَّ من أسوإِ المصايرِ إفضاءَ الانسان وقد قضى عُمْرَه فى مِهنةٍ ، إلى جهلِ تلك المِهنةِ ، اللهمَّ إلاَّ ما يتعلَّقُ منها بجزءٍ من دَبُّوسٍ أضاعَ فى صنعتهِ جميعَ أيَّامهِ

٢ — يدَّعون أنَّ العاملَ مع ذلك التخصيص، يكون أنزَلَ على حُكم[1] الطَّوارئ، بحيث لو حدثت أزمةٌ ، أو تغيَّرَ زِيٌّ ، أو اختُرِعَت آلةٌ ، لانقطعَ رزقهُ . بخلاف النَّسَّاجِ الحرَّاثِ فى القِدَمِ ، فإنهُ كانَ يَرْجِعُ الى الحقلِ، ويَستَمِدُّ من عملهِ فيهِ وَفاءَ ما لم تَفِ بهِ المِهنةُ من حاجاتهِ .

٣ — يتَّفِقُ لِتجزئة العمل الصِّناعيّ أن تُضِرَّ بتجزئته الطَّبيعيَّةِ ؛ مثال ذلك أن تَنصرِفَ المرأةُ عن خدمةِ دارِها وأولادِها إلى خدمةِ المصانعِ

هذه المآخذُ الثلاثةُ لا تخلو مِنَ الصِّحَّةِ ولكنَّ فيها ما فيها من المبالَغَةِ ، فإنَّ تفريقَ الصنَعات لا يُتلِفُ ذِهْنَ العاملِ ولا جِسمَهُ على ما يَصِفُون

---

(١) أخْضَعَ لسلطانها

ومنَ الصنعاتِ ما كانَ ولا يزالُ عملاً متشاكلاً : مثالهُ مهنةُ الطاحنِ على الرَّحَى قِدماً ، ومهنةُ الحائكِ فى بعضِ البلادِ وأخصُّها الشرقيَّة إلى هذا اليوم . كلاهما يُحدِثُ حدثاً واحداً بلا انقطاع ، وكلاهما لا يلجأُ إلى المزارعِ حين تخونُهُ مهنتُهُ

أيَّ تثقيفٍ تاشدتُكَ الله يُثقفُهُ عقلُ الانسان حين يصنعُ الدَّبُّوسَ كلَّهُ ، أو الدَّبُّوسَ والإبرةَ معاً ، بدلاً من أن يصنعَ أدنى جزءٍ من الدَّبُّوسِ ، وأيَّ نبوغٍ ينبغُهُ مَنْ لا يصنعُ الحذاءَ كلَّهُ

فالقولُ بإتلافِ التجزئةِ للطبقة العاملة ، زعمٌ عتيقٌ لم تثبتْ لهُ دِعامةٌ ، وهـذا الصانع الآليُّ أو التطبيقيُّ فى المعـاملِ الكبرى لا يقلُّ فطنةً عن حدَّادِ الأزمنةِ الخاليةِ ، وإن بلغَ الأوجَ فى التخصيصِ ؛ بل لعلَّهُ يصحُّ على خلاف ذلك المذهب ، أنَّ تكرارَ الصنعةِ الواحدةِ يُريحُ العقلَ ، ويُعفيهِ من الإجهادِ

وفى امتدادِ الأعمارِ على ما أثبتَهُ الاستقصاء ، ما

يَشْهَدُ بأنَّ أحوالَ الأبدانِ ليست اليوم شرًّا منها بالأمس

مُقَوِّمات تجزِئة العمل

تَجزِئةُ العمل في حاجةٍ إلى مُقَوِّماتٍ تُقَوِّمُ عِوَجَها، وإلى نِظامٍ معنويٍّ عقليٍّ يُخالِفُ النِّظامَ المتَّبَعَ في هذه الأيام

جديرٌ بها، ان تُقَصِّرَ يومياتِ الصنَّاع، وتَدْفَعَ السَّأَمَ عن الذِّهْنِ وتَقِيَهِ الهُمُودَ. فإذا بَلَغَتْ تجزِئةُ العملِ التَّمامَ، وَجَبَ أن لاتربو اليوميةُ على عَشْرِ الساعاتِ وبِقَدْرِ ما تَسْمَحُ التَّجْزِئةُ بتقصيرِ وقتِ العملِ مِنْ غيرِ نَقْصٍ في الانتاجِ ولا خسارةٍ على المجتمع، يكونُ الخيرُ

ومِمَّا تَقْتَضيهِ تجزِئةُ العملِ، حُسْنُ الانتفاع بوقت الفَراغِ: فإنَّ الصَّانعَ، على ما يَتلقَّاه في هذا الزَّمَنِ مِنْ مَبادىءِ العِلْمِ ويُحيطُ بهِ من مُثَقِّفاتِ الفِكرِ، خليقٌ بهِ وقد قلَّتْ ساعاتُ خدمتهِ، أن يُعْنَى بتوسيعِ مَدَاركهِ

فإن لم يَفْعَلْ، فلا تثريبَ على المدنيَّةِ وقد مَهَّدَتْ لهُ سبيلَ القَصْدِ. على أنهُ رُبما لم يَدْرُج إلى هذه الغايةِ، إلاَّ

بعدَ تعاقُبِ جيلَيْن[١] أو ثلاثةٍ، فيَسْهُلُ يومئذٍ عليهِ بالطَّبعِ ما شَقَّ عليهِ بالتَّطَبُّعِ

كذلك يُوجِبُ الفراغُ مع إطالةِ مُدَّتِهِ اليوميَّةِ، والأجرُ مع ازديادِه، أن يَزْدادَ العاملُ اهتماماً بدارِهِ، وأهلِهِ؛ لا نَعْنى بهذا أن تُمنَعَ النِّسوةُ والأطفالُ من امتهانِ مِهْنةٍ فى المصانعِ، بل ان يُحْظَرَ العملُ على الأطفالِ ولمَّا يَبْلُغوا الثَّالثةَ عشرةَ من السِّنِّ، وعلى الوالداتِ الفتيَّاتِ بقدرِ الطَّاقةِ؛ فأمَّا الأبكارُ اللَّواتى يُعِنَّ على نفقاتِ البيتِ، أو يَجْمَعْنَ لأنفسهنَّ مَهْراً، والنِّسوةُ اللَّواتى قد خَلَا[٢] من سِنِّهِنَّ وقد كَبِرَ أولادُهُنَّ، فلَهُنَّ أن يَحترِفْنَ، إنماءً لرِزقِ الأُسْرَةِ، على أن لا يَتأتَّى من ذلك مَكْرُوهٌ

وإنهُ لَيُرْجَى، مع تقدُّمِ الصِّناعةِ، ان تكثرَ المحرِّكاتُ التى تُدارَ بالغازِ، أو الكهرُباءِ، أو الهواءِ المضغوطِ، فتَرْخُصَ وتُعِيدَ للحِرَفِ البيتيَّةِ شيئاً مِنْ قديمِ شأنِها

---

(١) الجيل الصِّنفُ من الناس قدَّره العُرْفُ بثلاثين عاماً

(٢) خَلَا من سنِّهِ أى طَعَنَ فى السنِّ

يُتَوَصَّلُ معهُ ، لا إلى إلْغاءِ المعاملِ ، فإنَّ مُلاءَمةَ الصنعاتِ فيها تَظَلُّ أصلحَ وأكْمَلَ ، بل الى إحداثِ أحوالٍ متنوّعةٍ تُوافِقُ جميعَ مَراتِبِ الحياةِ الصناعيَّةِ ، وتَتَّفِقُ مع الواجباتِ البيتيَّةِ

فَلْنَغْتَنِمْ إذاً جلائلَ الفوائدِ التى يُقَيِّضُها لنا تجزُّؤ العملِ . إن الله سبحانه وتعالى لَيَبيعُ على الإنسانِ خيراتٍ ونِعَماً بثمنٍ مِنَ المُعاناةِ والجَلَدِ ؛ أمّا فوائدُ النَّجاحِ الاقتصاديِّ ، فالإنسانُ يملكُ أن يُزيل فى كلِّ يومٍ شيئاً مما يَحولُ دونَها من المتاعبِ

لقد ذكرنا فى مبادىء هذا الفصلِ حقيقةً نُعيدُها فى ختامهِ : وهى أنَّ العملَ الانسانيَّ تحتَ سيادَةِ الحريةِ ، مشفوعةً بتحقُّقِ المسؤوليةِ الذّاتيَّةِ ، يَظَلُّ فى تحويلٍ وتبديلٍ ما دُمْنا نَرْجو أن نُصادِفَ فيهِ من جديدِ الوسائلِ ما يَفْضُلُ قديمَها ، لِنَيْلِ أقصَى ما يُستفادُ من القُوَى الحادثةِ التى يملكُ الانسانُ تَصريفَها

الفصل التاسع

الآلات

الأدوات والآلات — مطاعن العامة على الآلات — أمثلة
من تلك المطاعن — مزايا الآلات — شرائط
استخدامها — مآخذ النقاد — ما للآلات
من فضل الحماية

الأدواتُ والآلاتُ

لا يَبلُغُ تجزُّؤ العمل أمدَه إلاَّ فى الصِّناعات التى فيها تُستَخدَمُ الآلاتُ

حاوَلَ الإنسانُ منذ تَمدينِهِ أنْ يُنَمِّى قُوَّةَ أعضائهِ باستعمالِ أدواتٍ قد نَحَا بها النَّحْوَ الذى استطاعَهُ ، فأحْدَثَ القَوْسَ ، والسَّهْمَ ، وشَبَكَةَ الصَّيْدِ ، ثمَّ تَعَدَّدَتْ هذه الأَشياءُ وتَنوَّعت على مرِّ الأَيَّامِ إلى نوعين : أدواتٍ ، وآلاتٍ

الأَدواتُ : هى التى تَتحرَّك بقُوَّة الإِنسانِ مُباشَرَةً ، فتكونُ مَزيداً فى قُوَّتهِ أو ذَريعةً لمضاعفَةِ تلكَ القُوَّةِ ؛ وقد غالَى أُناسٌ فى تشبيهها

وأَقْرَبُ ما قيلَ فى ذلك إلى الصَّواب : أن المِطْرَقَةَ على مِثالِ اليَدِ المقبوضةِ ، والمِجْرَفَةَ على مِثالِ اليَدِ المبْسُوطة ، والمِلْعَقَةَ على مِثالِ باطِنِ الكَفّ ، والمِنْشارَ على مِثالِ الأَسنانِ ، والمِلْزَمَةَ[1] مِنَ الحديدِ على مِثالِ الأَصابعِ ، والمِنْفَخَ على مِثالِ الرِّئتين

الآلات : هى التى لا تَستَمِدُّ القُوَّةَ المُحَرِّكةَ لها مِن مُباشَرَةِ الانسانِ ، بل من الطَّبيعةِ وجُنودِها من حيوانٍ ، وماءٍ ، وريحٍ ، وبخارٍ ، وغازٍ ، وكهرباءٍ ، وهَواءٍ مضغوطٍ الخ فهى الوسيلةُ الثَّانيةُ التى تَوَسَّلَ بها الانسانُ لاستزادةِ قوَّتهِ ، واتِّخَذَها من الطَّبيعةِ الخارجةِ عنهُ

تَدْخُلُ البَهْمُ فى هـذا التَّعْريفِ ؛ لأنَّ الاقتصادَ يَعُدُّها من الآلاتِ

---

(١) اسم آلة مركبة من قطعتى حديد أو خشب لضغط الأشياء والزامها

مَطاعن العامَّة على الآلاتِ

أفادتِ الآلاتُ الإنتاجَ ، فى كلِّ زمنٍ أجلَّ الفوائدِ ، غيرأنَّ كلَّ فائدةٍ ظَهرَت فى حينِها ، قد أخذَتْ بنصيبٍ من كَراهةِ العامَّةِ وطَعْنِها عليها . ولا شىءَ أبلَغُ فى بابِ العِبْرَةِ مِمَّا نَعَاهُ عليها النَّاعونَ ؛ ولو سُمِعَ فيها قولُ الكاشحينَ[١] لَبَقِيَت الانسانيَّةُ خادِرَةً[٢] فى وَهْدَتِها ولَحُرِمَتْ أنفسَ مُبْتَكَراتِها

فَلْنُراجِعْ بعضَ ما جرَى مِنَ الوقائعِ والخصوماتِ فى صَدَدِها مَدَى القُرُونِ الأَرْبعةِ الأَخيرةِ

ذكَرَ بعضُهم أنَّ النسَّاخينَ التمسوا وُقُوعَ أمرِ التَّحريمِ على الأَوَّلينَ من أَرْبابِ المطابعِ

وفى أَنباءِ القَرْنِ السَّادسَ عَشَرَ ، أنَّ مدينةَ «دَنْزِج»[٣]

---

(١) جمع كاشح وهو الذى يطوى كشحه على العداوة والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف (٢) خادِرَةً مُسْتَرْخِيةً

(٣) دَنْزِجْ بألمانيا

حظرت استعمالَ الأنوال التى تُخرِجُ الأوشحةَ[١]، وأنَّ أُناساً من سوقتها قد غرَّقوا المخترعَ لها

وانَّ انجلترا و « هولنده » و « الفلندر » و « سويسرا » و « المانيا » ، حرَّمت أيضاً تلك الصّناعةَ وأمرَ مجلس الشّيوخِ فى « همبرج[٢] » بإحراقِ مناويلها

وفى سنة ١٥٨٩ عارضت الملكةُ « إليصابات » فى إقامةِ محايكَ للجوارب . أمَّا هنرى الرَّابع ملك فرنسا فقد منحَ مخترعها شيئاً مِنَ الرّعايةِ ، ولكنَّهُ لم يكد ينقضى أجلُ ذلك الملكِ حتى اضطهدَ ذلك المخترعُ

وفى بلادِ « الهرز » بالمانيا اضطرَّت الحكومةُ الى حمايةِ مخترعِ المنفخِ الخشبيِّ مِنْ صنَّاعِ منافيخِ الجلدِ يومَ عزموا على إيذائهِ

وقد حطَّمَ بعضُ صادةِ البحرِ أوَّلَ مركبٍ سيَّرَهُ البخارُ

وأحرقَ مجلسُ حكماءِ « ليون » كرسيَّ (جاكار)

---

(١) جمع وشاح وهو لباسٌ للمرأة (٢) بألمانيا

الذى كانَ من أعضائهِ ، لاختراعهِ المِنْوالَ المعروفَ باسمهِ .

وقد هَمَّ السُّوقَةُ بقتلهِ مرّاتٍ ثلاثاً

واضطهدَ الصنّاعُ (هرجريفس) مخترعَ المِغْزَلِ الآليّ ، وما زالوا بهِ حتى ماتَ صبراً [١] وفقراً

وخرّبت جماعةُ (اللُّوردیث) وهم من الصنّاعِ الانكليز، فى سنة ١٨٣٠ ، جميعَ المحاريثِ والأدواتِ الزّراعيّةِ التى أُجِدَّت [٢] وأُتْقِنَت

تلك طائفةٌ من وقائعَ قد سلَفَتْ

واليكَ طائفةً من أمثالها جرَت فى هذه الأيّامِ

فإنّ الرّئيسَ (سنتا أنّا [٣]) فى المكسيكِ عارضَ مرّةً فى مَدِّ خطٍّ حديديٍّ ، رفقاً منهُ بأصحابِ البغالِ

وجماعةٌ من عربِ الباديةِ قد ردموا التُّرْعةَ التى توصّلُ الماءَ إلى بلدةِ « الشّهيدةِ » لينفعوا حَمَلَةَ الماءِ

وفريقٌ من الصنّاعِ ، فى بعضِ المرافئِ الأُوربيّةِ ،

---

(١) مات صبراً أى مات جوعاً وعزلة (٢) صارت جديدة

(٣) مكسيكيٌّ وُلد سنة ١٧٩٧ ومات سنة ١٨٧٦

حاولوا بالبأسِ والمناجزَةِ[١] أنْ يمنعوا استخدامَ روافعِ الأثقالِ فى أوّلِ أمرِها

وجمهورٌ من صنّاعِ الزّجاجِ (البلچيكيين) أغاروا فى آخرِ إضرابٍ لهم، على (الأفرانِ ذواتِ الحيضانِ) فهدموها ولم يَكرِثْهم[٢] أنها تُسَهِّلُ الأعمالَ وتُقَلِّلُ النّفقاتِ

وعلى هذا القياسِ كانت ثوراتُ الغضابِ[٣]، يومَ أُخرِجت للنّاس الطّباعةُ، والمنافخُ الخشبيّةُ قبلَ المنافخِ المصبوبةِ من الحديدِ، ومَحايكُ الجواربِ، ومناسجُ الأوشحةِ، والمغازلُ، والمناشيرُ الهوائيّةُ قبلَ المناشيرِ البخاريّةِ، والآلاتُ الزّراعيّةُ، والمراكبُ البخاريّةُ؛ بل والقواطرُ

فأيّ مصيرٍ كانَ مصيرُنا، لو لم تُورِثنا الأجيالُ واحداً بعدَ واحدٍ هذه المخترعاتِ التى لا تُقَوَّمُ؛ لِما أمدَّت بهِ الانسانَ من عظيمِ المعُونَةِ واختصَرَت لهُ من مُطَوَّلاتِ العملِ

---

(١) المناجزة – المقاتلة (٢) كَرَثَ يَكرِثُ اشتدَّ يشتدُّ

(٣) جمع غضبان

على أنهُ ما زالَ للعصبيَّةِ على الآلاتِ أثرٌ فى بعضِ النُّفوسِ . كما وقع ذلك حديثاً فى أحد التَّحقيقاتِ البرلمانيَّةِ بفرنسا

مزايا الآلات

لِنَستعرِضْ تِلكَ المزايا بإيجازٍ ثمَّ لِنَنظُرْ فى المآخذِ التى أخَذَها النُّقَّادُ عليها :

١ً — المزيَّةُ الأُولى : هى أنها تُخفِّفُ مِنْ متاعبِ الانسان فى غيرِ واحدٍ مِنَ الأعمالِ المُجْهِدَةِ ، كعملِ الرَّقيقِ أيَّامَ كانَ يُديرُ الرَّحَى لِطَحْنِ الحبوبِ ؛ أو عملِ القَذَّافينَ الأتعاسِ فى الأجرام[1] التى كانوا يُسيِّرُونها ، فهذان النَّوْعان ، قد استُبْدِلَت المِطْحنةُ الهوائيَّةُ أو المائيَّةُ أو البخاريَّةُ بأحدهما ، والسُّفُنُ ذواتُ الرقَّاساتِ أو ذواتُ الشُّرُعِ بثانيهما

ولقد أراحت المخترعات الحديثةُ أولئك الحمَّالينَ على

---

(١) جمعُ جُرْمٍ وهو الزَّوْرَقُ بغيرِ شِراعٍ

الرُّؤوسِ والنِّسْوَةَ اللَّواتى كُنَّ يَجذِبْنَ الأَثقالَ مِنْ تِلكَ المشَقَّةِ البَهَميَّةِ؛ كما أراحت النَّفَّاخينَ فى صِناعَةِ الزُّجاجِ، من إِذابةِ صُدُورِهم وتَقْريبِ آجالِهم

ولو لم يكن للآلاتِ غيرُ هذه المزيَّةِ لكفى بها مَرْضاةً لأهْلِ الرَّأفةِ والمُروءَةِ، دع أنَّ الآلاتِ — ومن فوائدها ما لَخَّصْناهُ — تَصُونُ كرامةَ الانسانِ وترْفَعُهُ من حِطَّتِهِ

٢ً — المزيَّةُ الثانيةُ: هى أنَّ الآلاتِ تأتى أعمالاً يَستحيلُ على النَّاسِ، أيًّا كانَ عَدَدُهم، أن يأتوها، تَناهَتْ تلك الأَعمالُ فى العِظَمِ أَمْ تناهت فى الدِّقَّةِ

وحَسبُكَ أدلةً على ذلك، المِطرَقةُ العالِقةُ، فى بعضِ المصاهرِ الكُبرَى، وَزِنَتُها من ثمانيةِ آلافِ كيلوغرامٍ إلى عشرَةِ آلافِ كيلوغرامٍ، فإنها تَطْرُقُ ما يَعرِض لها مِنْ مائتى مرَّةٍ إلى ثلاثمائةِ مرَّةٍ فى الدَّقيقةِ الواحدة

ثمَّ المراجلُ البخاريةُ، فى بعضِ السُّفُنِ، وقُوَّتُها

قوّة عشرةِ آلافٍ مِنَ الأَحْصِنةِ أى قُوَّةُ عشرينَ أو ثلاثينَ ألفَ رجلٍ لا يَستريحون

ثمَّ الآلةُ المُجزِّئةُ المعروفةُ باسم مخترعها (پِرُّو[١]) وبها يُقَسَّمُ المِلّيمترُ الواحدُ إلى ثلاثةِ آلافٍ مُتساويةٍ من الأجزاءِ

ومِمَّا يَجْدُرُ بالذِّكرِ، آلةٌ عُرِضت فى المعارضِ الأخيرة وآيتُها أنها تَنْسِلُ مِنْ لبرةِ القُطْنِ خيطاً يمتدُّ إلى ثلثمائةِ ميلٍ وعشرينَ ميلاً انجليزياً أى خمسمائة وعشرين كيلومتراً

أمَّا من قبيلِ السُّرْعةِ؛ ففى المطابعِ التى تَستخدمها دواوينُ السككِ الحديديَّةِ ما يُخرجُ سبعينَ ألف قَسيمةٍ[٢] فى اليومِ

فلا مُناسبةَ بين الأيدى مهما تَكاثَرَتْ ورِيضَتْ[٣] وبين الآلاتِ فى جليلِ الصِّناعاتِ ولا فى دقيقِها

٣ — المزيَّةُ الثالثةُ: هى أنَّ الآلاتِ فى بعضِ الأعمالِ، تُغنى بالرَّجلِ الواحدِ من الأوْساطِ فى القُوَّةِ،

---

(١) حفَّار فرنسيٌّ وُلد سنة ١٨١٩ ومات ١٨٧٦

(٢) القسيمة التذكرة (٣) ريضت مُرِّنت

أو بالمرأةِ والطفلِ ، عن عشَراتٍ مِنَ الرِّجالِ الأشِدَّاءِ الذين كانوا ينهَكُونَ قُواهم دونها

٤ً — المزيةُ الرَّابعـةُ : هى أنَّ الآلاتِ تُسرعُ فى إنجازِ الأعمالِ ولا تَكِلُّ ولا تتعَبُ . وأظهَرُ ما تكون فائدتُها تلكَ ، حين تَدْعو الحالُ إلى الانكماش[1] مخافةَ فَوْتِ الفُرْصةِ ، أو طروءِ عَرَضٍ جَوِّيٍّ يُضِرُّ بالعملِ ، كما يَحْدُثُ فى المزارعِ ، التى تُدارُ فيها الحصَّاداتُ والمذارَى فيَنْجُو بها القمحُ ، والتِّبْنُ من التَّلفِ ، أو العَطَبِ

٥ً — آخرُ مزايا الآلاتِ وأشَدُّها تأثيراً فى النِّظامِ الاقتصاديِّ : مقدرتُها على إخراجِ ما تُخرِجُهُ ، بلا حدٍّ فى العَدَدِ ، على مِثالٍ واحدٍ . وبهذا تَبْلُغُ الآلاتُ غايةَ القُوَّةِ ؛ فَيَصنَعُ المِنوالُ المستديرُ الذى تُنْسَجُ عليهِ المِفْضَلاتُ[2] ، أربعمائة وثمانين ألف لُحمَةٍ وسَدَى فى الدَّقيقةِ الواحدةِ ؛ ويَعْمَلُ عَشَرَةٌ من الجمَّاعين وخمسةٌ مِنَ الطبَّاعينَ فى المطابعِ الرَّحَوِيَّةِ قَدْرَ ما

---

(١) الانكماش السرعة (٢) الأقمشة البيضاء

كانَ يعملهُ مائتا ألفِ نَسَّاخ أو ثلثمائة ألفٍ منهم قبلَ خمسمائةِ عامٍ

يتأتَّى من هذه المزايا التى لا تُحصَى فوائِدُها، أنَّ المنتَجاتِ، فى الصِّناعاتِ التى تَستلزمُ استخدامَ عددٍ كبيرٍ من الآلاتِ وتكونُ موادّها الأَوَّليَّةُ بَخْسَة القيمةِ؛ يَهبطُ ثمنُها هُبوطاً عظيماً

من ذلك أنَّ بعضَ الأَشياءِ التى كانت تُعَدُّ فى النَّفائِسِ أصبحت اليومَ وهى من المبتذَلاتِ التى تتداوَلُها الأَيدى فى جميعِ طَبَقاتِ النَّاسِ، كما أصبحَ الشِّفُّ[1] والكتُبُ، والصُّوَرُ الشَّمْسيَّةُ

قُوِّمَ فى سنةِ ١٤٢٨ ستةَ عَشَرَ مجلَّدًا كانت لمحامٍ إيطالىٍّ بما يُعادِلُ ثلاثةَ آلاف وتسعة وسبعين فرنكاً، من نُقُودِ تلك الأَيَّامِ؛ وكانَ ثمنُ التَّوْراةِ المخطوطةِ من أربعمائةٍ إلى خمسمائةٍ من (الفيُورِيني) وهو يُعادلُ فى عَصرِنا ما يَربو على ألفٍ من الفرنكات

---

(١) الشِّفُّ la gaze وهو نسيج رقيق جداً

أمَّا الآن فما من كِتابٍ شَهيرٍ أو نافعٍ إلاَّ وثمنُهُ يتراوحُ بينَ الفرنكِ والفرنكينِ والثلاثةِ الفرنكاتِ. وبعضُ نفائسِ الكتبِ ممَّا طُبعَ برسمِ العامَّةِ تُباعُ النُّسخةُ منه بخمسين سنتيماً

بهذه الوَسيلةِ ونظائرِها غدَتْ سوقةُ النَّاسِ تقتني ماشاءَ اللهُ من الأشياءِ النَّافعةِ، والمفكِّهةِ المرفِّهةِ للحياةِ، ولقد وَجبَ على الانسانِ أنْ يَحمدَ اللهَ على ما قيَّضهُ لهُ من متْقَنِ الآلاتِ، كما وَجبَ عليهِ أن يَشكرَ للمخترعينَ خدمتَهم الجليلةَ للإنسانيَّةِ وان ينُوّهَ بشرفهم ويُقيمَ لهم التَّماثيلَ ويَستديمَ لهم طيِّبَ الذِّكرِ ونباهةَ القدرِ

شرائطُ استخدامِ الآلاتِ

تتعدَّدُ الآلاتُ كلَّ يومٍ وتتزايدُ، غيرأنَّ مجالَ عملها لا يزالُ محدوداً بقيُودٍ يقتضيها استخدامُها، وهى أشبهُ بشرائطِ تجزئةِ العملِ:

منها أنْ يكونَ رأسُ المالِ واسعاً سعةً يتيسَّرُ معَها

تَشْييدُ المبانى ، وتركيبُ الآلاتِ فيها ، وإعدادُ الأدوات المُلْحَقةِ بها

ومنها أن يكونَ للصِّنف الذى يُستَصنَعُ بها ، سوقٌ رابحةٌ ، وأنْ تُمهَّدَ اليها الطُّرُق

ومنها أنْ يكونَ الأهلونَ على إلْمامٍ بتلكَ الصِّناعةِ ومهارةٍ فيها ؛ فيُختار منهم رِجالُ إدارتِها ، وعُمَّالُها ، ومُوَظَّفُوها ومُصلِحُو ما يَختلُّ من أدواتِها

فالآلاتُ إذاً تُوافِقُ الأقطارَ الغَنيَّةَ ، الآخِذَةَ مِنَ الحِضَارَةِ بِقِسمِها ، والتى لا عَهْدَ لها بالصِّناعة الكبرَى

للآلات — غيرَ الشَّرائطِ العامةِ التى سَرَدْناها — شرائطُ خاصةٌ يَسْهُلُ معَها إيجادُها أو يَصْعُبُ . فلأجل أن يُفيد استخدامُها يَجِبُ أنْ يُستَصْنَعَ بها أشياءُ تَنْفَقُ مهما كَثُرَتْ عِدَّتها نَفَاقاً مُستَمِرًّا ، حتى يكون مُطَّرِداً ، وألاَّ تكونَ تلك الأشياءُ تابعةً لزيٍّ يَتغيَّرُ أو حالةٍ تَحُولُ ، وألاَّ تكونَ مما يَتطلَّب النَّاس فيهِ رَسْماً خصيصاً أو مَزِيَّةً فَنِّيَّةً

فالآلاتُ أصلَحُ ما تكونُ إذا وُجِّهَتْ الى صنعِ الأشياءِ المتداوَلةِ المألوفةِ؛ ولا شأنَ لها — إلاَّ ما نَدَرَ — فى النَّفائسِ التى تَتَنوَّعُ تبعاً لِشَهواتِ المتأنِّقينَ . فهى لتلك العِلَّةِ اكثرُ فى صِناعةِ القُطْنِ منها فى صِناعةِ الخزِّ، وفى صِناعةِ الحريرِ المُزَخْرَفِ المُدَبَّجِ، منها فى صِناعةِ الحريرِ السَّاذَجِ، وفى صناعةِ الفِلِزَّاتِ[1] منها فى الصِّباغةِ

ومِمَّا يُؤَثِّرُ فى استخدامِ الآلاتِ أُجُورُ العمَّالِ، فحيث زَهِدَت الأُجُورُ؛ زهدَ النَّاس فى طلبِ الآلاتِ الزِّراعيَّةِ . وفى الهِنْدِ ما يؤيِّدُ ذلك

وحيث غَلَت الأُجورُ فلا يُعْمَلُ باليَدِ إلاَّ كلُّ ما لا يُستطاع استصناعُهُ بآلةٍ، وفى « انجلترا » و « الولاياتِ المتَّحدةِ » مِصْدَاقُ ما نقول

ولقد جرَّ تغالي العُمَّالِ فى مطالبهم وإضرابُهُم عن العملِ إلى اختراعِ آلاتٍ لم تُخْطِرها الحاجةُ على البالِ

---

(١) الفلزَّات — كلُّ ما يَنفيهِ الكِيرُ من خبَثِ الحديد والحجارةِ ومعادنِ الأرضِ اخترناها اسماً للخردوات

مآخذ النُّقَّاد على الآلاتِ

رَأَينا ما للآلاتِ من المنافعِ وقد بَقِيَ علينا أن نَعرِفَ ما يُؤاخِذُها عليهِ النُّقَّادُ وما يَعزُوهُ اليها بعضُ الكتَّابِ من الاثرِ السّيِّءِ

قالَ منهم أُناسٌ إنَّ اختراعَ الآلةِ يَنزِعُ من العاملِ مِلْكيَّةَ عَمَلِهِ بغيرِ عِوَضٍ، ويُقلِّلُ، إلى أمَدٍ محدودٍ أو غيرِ محدودٍ، عَدَدَ الذينَ يُوَظَّفونَ من الصنَّاعِ؛ فيحملُهم على إضاعةِ وقتٍ طويلٍ فى البَحثِ عنْ مِهْنَةٍ يَرتَزِقُونَ منها؛ وتَزيدُ بذلك تَقلُّباتُ الصناعةِ فتُعَرِّضُ حياةَ أولئك الفَعَلَةِ إلى ما لا يُحصى من الأَخطارِ

قد يكون فيما يَقولونَ مَلْمَحٌ من الصِّحَّةِ ولكنَّهم شَدَّ[1] ما يُبالِغون فيما يَزْعُمون

ثَبَتَ بالاختبارِ التَّاريخيِّ أنَّ الآلاتِ لا تُقلِّلُ طلَبَ الصنَّاعِ إلى أمَدٍ مَديدٍ. ذلك لأنَّ حاجاتِ المرءِ لا تُحصى

---

(١) أعنى ما أكثرَ ما يبالغون

فإذا سَهُلَ عليهِ قضاءُ واحدةٍ منها ، التمسَ قضاءَ غيرِها مما كانَ متعذّراً عليهِ . مثالُ ذلك : إذا هبطَ ثمنُ الجورَبَيْنِ من خمسة فرنكاتٍ إلى ثلاثة فرنكاتٍ على يَدِ آلةٍ تحيكُهما ، فمآلُ ذلك : هو أنَّ المشتريَ قد توافرَ لديهِ فرنكان ، ودَخْلُهُ كما كانَ ، فينصرِفُ هواهُ : إمّا إلى الإكثارِ من اقتناءِ الجواربِ ، وإمّا إلى ابتياعِ أشياءَ أُخرَ لم يكُنْ في وسعِهِ الحصولُ عليها

فعلى هذه الصُّورَةِ ، يبقى طلبُ العملِ بعدَ اختراعِ الآلةِ ، كما كانَ قبلَهُ ، وإنما تختلفُ المقتنياتُ

على أنَّ الآلاتِ قد تُحْدِثُ بذاتها طلباتٍ جديدةً للعملِ ، فمِنْ ذلك صُنْعُها ، وتركيبُها ، وكِلاءَتُها[1] : مما يَدْعو إلى استخدامِ جُمْهورٍ من مُحترِفي الحِدادَةِ

ومن ذلك إيجادُ الفحمِ لإدارتها : وهو ما يحتاجُ إلى تكاثُرِ عددِ المعدّنين[2]

---

(١) الكِلاءةُ الحِراسةُ

(٢) المعدّنونَ الذين يعملون فى مناجم المعادن

ومن ذلكَ تَشييدُ دارٍ لها : وهو ما يَستدعى توظيفَ البنَّائينَ ، والنَّجَّارينَ ، والمسقِّفينَ الخ

فهذه الأَحوالُ كلُّها تُعوِّضُ على العملِ من جهةٍ ، ما تُفْقِدُه من الجهةِ الأُخرى

وكم أَوْجدَتْ تلك الآلاتُ الجديدةُ صناعاتٍ مِنَ العدَمِ : مِثالُ ذلك التَّصويرُ الشَّمْسيُّ بأجهزتِهِ ومُعدَّاتِهِ ، فإِنَّ عشراتِ الالوفِ من النَّاسِ قد أَصبحَتْ تَستَمِدُّ منهُ أَرزاقَها

كانَ فى الأَديارِ طوائفُ مِنَ النسَّاخينَ ، فبادَوا عن بكْرَةِ أَبيهم وقامَ مَقامَهم فى هذا الزَّمَنِ ألفُ ضعفٍ من الطبَّاعينَ والجمَّاعينَ

يَستخْدِم الخطّ الحديديُّ فى فرنسا ثلاثمائةَ ألفِ عاملٍ ومع هذا فلا نزالُ نرَى تَعْدَادَ الخيولِ ، والسَّاقةِ ، والرَّاضةِ[1] كما كانَ لخمسينَ سنةً خلَتْ

غير أَنهُ قد يَقَعُ من دُخولِ الآلاتِ بَغْتةً فى حِرْفةٍ

---

(١) الرَّاضةُ — الذين يروضونَ الخيل ويَسوسونها

يَدَويَّةٍ ، فقرٌ مُوقَّتٌ واضطرابٌ زائلٌ ، لِطائفةٍ مِنَ المحترفينَ بها ؛ كما شوهِدَ فى الثُّلُثِ الأوَّلِ من القرنِ التاسعَ عشر حين أُسِّست المناسجُ الآليَّةُ ، ولكنَّهُ لم يَنْشَبْ[1] أنْ ضَعُفَ فى هذه الأيَّامِ

حماية الآلات للعمال

أصبحت الآلات قِوَاماً لجميع الصناعاتِ الكبرَى ؛ وهى تَتَدَرَّجُ فى الإتقانِ والتَّحْسينِ

فالمستصنِع الذى أنْفَقَ ما شاءَ اللهُ على جهازٍ تقادَمَ عهدُهُ لا يَرْغَبُ عن ذلكَ الجهازِ لمجرَّدِ علمهِ بوُجودِ ما يَفْضُلُهُ ، بل يَشْرَعُ فى استبدالِ غيرِهِ بهِ على التَّدْريجِ ؛ وهـذا التَّدْريجُ هو الذى يَقِى العُمَّالَ آفاتِ التَّغيُّرَاتِ الفجائيَّةِ

على أنهُ أصبحَ مِنَ المألوفِ أنَّ كلَّ آلةٍ

---

(١) نَشِبَ يَنشَبُ – عَلِقَ يَعلَقُ ولبث يلبث – وقد وقعت فى الصفحة الاولى لفظة ينشب بكسر الشين وصوابها بالفتح

تُستَحْدَثُ لا يَعُمُّ استعمالُها فى أقلَّ مِنْ رُبعِ القَرْنِ : والشَّواهِدُ على ذلكَ أنَّ المركَبَ الشّراعيَّ لم تَنْسَخْهُ الباخرةُ؛ وأنَّ السَّفينةَ ذاتَ الدُّولابِ لم يَقْوَ على إبْطالِها الرفَّاسُ؛ وأنَّ المناسجَ التى اختُرِعَتْ فى رأسِ هذا العصرِ وتُعْرَفُ بالانوالِ لا تزال منها بَقِيَّةٌ تَعْمَلُ بِجانبِ المناسجِ المتْقَنَةِ التى جاءَت بعدَها وتُعْرَفُ بالمتحرِّكَةِ من نَفْسِها ؛ وأنَّ الغازَ لم تُزِلْهُ الكهرباءُ ، والحديدُ لم يُلْغِهِ الفولاذُ، والفولاذُ العاديُّ لم يَقْرَعْهُ الفولاذُ البِسمِرِيُّ ، والبارودُ لم يُبِذْهُ النَّسَّافُ

كانت الآلاتُ فى مُستهَلِّ هذا العصرِ ، إنما تُكافح الأيدى وهى ضَعيفةٌ عُزْلٌ[1] كيَدِ المرأةِ الغازِلةِ ، والحائكِ فى دارِهِ ؛ لذلك تَغلَّبَتْ عليها بلا عَناءٍ

أمَّا الآنَ فكلُّ جهازٍ حديثٍ إنما يُكافحُ آلاتٍ قد وُجِدَت من قبلِهِ وقد تكون أقلَّ منهُ إتقاناً ؛ إلاَّ أنَّ مُعْظَمَ أربابِها لا يَطيبونَ نَفْساً عمَّا أنْفَقُوهُ عليها ،

(١) عُزْلٌ جمع أعزلَ وهو الخالى من السلاح

ولا يَجِدُونَ مَصلحةً لهم فى تركها ، أللَّهُمَّ إلاَّ تَدْرِيجاً

وعلى هذه الصُّورةِ يكون الانتقالُ سَهلاً مَيْسوراً

أمَّا القولُ بأنَّ الآلاتِ قد زادتْ أحوالَ الصنَّاعِ قَلَقاً وتَعَرُّضاً للغِيَرِ ، فليْسَ فى شىءٍ مِنْ سعَةِ النَّظَرِ ؛ فَمَنْ تَتبَّعَ طوارِئَ الأَزماتِ ، وَجَدَ مَواقِعَها مِنَ المحترِفينَ اليَدَويينَ دونَ مَواقِعِها من عُمَّالِ المصانعِ الآليَّةِ

وإليكَ الأَمْثالَ : إذا كَسَدَتِ التِّجارةُ على مُستَصْنِعى الحريرِ فى « ليون » بادَرُوا إلى توقيفِ المناويلِ دَفْعَةً واحدةً ؛ لأنها يَدَويَّةٌ ، وإذا كَسَدَتْ على مُستَصْنِعى القُطْنِ فى « ليلْ » و « رُوبيه » و « رُوان » لم يُبْطِلوا العملَ تماماً ، مخافةَ أن تَفْسُدَ الآلاتُ ، بل يُقلِّلونَهُ ويَجعلونَ أُسبوعَهُ بعضَ الأُسْبوعِ ، ويوميَّتَهُ بعْضَ اليوميةِ ؛ وإذا بارَتْ سوقُ البُنْيانِ أو سوقُ الأَصنافِ المعروفةِ « بالباريسيَّةِ[1] » ؛ طَرَدوا العُمَّالَ جميعاً لأنَّ الصنَّاعتَيْنِ

---

(١) هى ضرُوبٌ من اللُّعَبِ وأشكالٌ من القِطَعِ المَشْخِصةِ التى تُعْرَضُ للزِّينة فى البيوت Articles de Paris

يدَويَّتان فى اكثرِ شأنهما

ولا كذلك إذا بارَت السُّوقُ على أربابِ المصاهرِ والمناجمِ ، فإنهم يُضطرُّونَ وِقايةً لأجهزتهم ، أن يَستَبقُوا كلَّ العُمَّالِ أو بعضَهم غايةَ ما يُطيقونَ

فالآلاتُ التى يَعْزونَ اليها تَعْريضَ الصنَّاعِ للغِيَرِ ، إنما هى التى تَقيهم بعضَ كوارثِ الفَراغِ القَهْرِىِّ فى الأزماتِ ؛ وذلك لأنَّ أربابَها لا يَستَغْنونَ فى سبيلِ حِفْظِها عن استبقاءِ سَوادٍ من النَّاسِ لِخِدْمَتِها

وفوْقَ هذا ، فإنَّ من الآلاتِ ما يُيَسِّرُ العملَ الدَّائمَ لجماهيرَ مِنَ الصنَّاعِ : كالخطِّ الحديديِّ ، أو كشَركاتِ الملاحةِ الكبرَى

بَقِيَ أنهُ قد يَتأتَّى عن الآلاتِ المستَجِدَّةِ ، فى أحوالٍ مُعيَّنةٍ لا يَطولُ أَمَدُها ، حِرْمانُ فَريقٍ مِنَ الصنَّاعِ حِرْفَةً أَلِفُوها ، فهذا ضَرَرٌ ولكنَّهُ ثَمَنٌ من الأثمانِ التى يَتقاضَاها النَّجاحُ . وعليهِ فلا بُدَّ للانسانِ مِنْ مَزيدِ التَّبصُّرِ ، بمعنَى أنْ يَدَّخِرَ من كَسْبِ أيَّامِ الرَّخاءِ ذَخيرَةً

لأيّام الشّقاء ؛ وأنْ يستمرّ على يقظة الفكر بحيثُ لا يلتصقُ بعملٍ معلومٍ كالتصاق « الهليم[1] » بصخرته .

فإذا عدمَ الحيلةَ ، فى بعض الأحيان ، دونَ الرّزق ، فعلى شركات التّعاون بين العمّال ، ومكاتب التّخديم ، ومعاهد البرّ والإحسان ، أن تقيلَ عثرتَهُ وتوصلَهُ إلى ضالّته

وهذا خيرُ ما تُطبَّقُ فيه قواعدُ المؤازرة والتّأمين

على أنّ مثلَ هذا الضّرر الذى يندُرُ وقوعُهُ بتوالى الزّمن ، لا يُعدُّ شيئاً فى جانب الفوائد الجُلّى التى استفادها النّاسُ ولا سيّما الصنّاعُ من استخدام الآلات

---

(١) الهليم اللاصقُ من كلّ شىء و « الهلامُ » (طعام من لحم عجلٍ بجلده) وعلى ذلك فقولهم (المواد الهلامية) خطأ ، صوابه (المواد الهليمية)

الفصل العاشر

الإنتاجُ الكبيرُ والإنتاجُ الصغيرُ — الأوْهامُ القائمةُ حَوْلَ نموِّ الإنتاجِ

الأحوال الحادثة التى وسعت نطاق الانتاج الكبير — مزايا هذا النوع من الانتاج — آفاته — حدود الانتاج — النجاح الاقتصادى فى حقيقته اقل منه فى ظاهره — أمثلة من الاوهام الدائرة حول تقدم الانتاج —

الأحوال الحادثة التى وسعت نطاق الانتاج الكبير

الكفاءةُ المنتِجةُ فى مجتمَعٍ ما، لا تَقْتصِرُ على ارتباطها بالفواعِلِ الثَّلاثةِ التى يَصْدُرُ عنها الإنتاجُ، وهى الطَّبيعةُ، ورأسُ المالِ، والعملُ، بل تمتَدُّ إلى حالةٍ أُخرى يَدْعُونها بالفِطْرَةِ الصِّناعيَّةِ

وأوَّلُ مَسألةٍ تَعترِضُ، سبيلَ تلكَ الفِطْرَةِ، مسألةُ البَحْثِ فيما للإنتاجِ الكبيرِ وللإنتاجِ الصغيرِ، من الثَّمراتِ والآفاتِ

على أنهُ يتعيَّنُ التَّمييزُ من هذه الجهةِ ، بين الصّناعةِ التَّحويليَّةِ بذاتِها ، والتّجارَةِ ، والزّراعةِ

فأمَّا الأُولى فهى التى سنُسْهِبُ فيهـا ، وأمَّا الثانيةُ ، فَسَنُفْرِدُ لها فَصْلاً فيما يلى

الإنتاجُ المنحصِرُ فى معاملَ كبيرةٍ

قد وُجِدَتْ منهُ أمثالٌ فى كلِّ زمانٍ ، إلاَّ أنهُ لم يَنْتَشِرْ فى عَصْرٍ انتشارَهُ فى هـذا العصرِ ؛ ولا سيَّما النِّصْفِ الأَخيرِ منهُ . ذلك لأَنَّ وَفْرَةَ الأَموالِ ، وسُهولةَ تأليفِ الشركاتِ المساهمةِ ، التى يأخذُ أُلوفٌ من النَّاسِ حِصَصاً صغيرةً فيهـا ، قد يَسَّرَتا جَمْعَ الموادِّ الضروريَّةِ لِقيامِ المشروعاتِ الكبرَى

ولأَنَّ تَشَعُّبَ طُرُقِ المواصلاتِ ، قد فَتَحَ مَغالِقَ الأَسواقِ فى وجهِ البَضائعِ ، فكانَ من مُسَبِّباتِ الإِنتاجِ الكبيرِ

ولأَنَّ تَحَسُّنَ الآلاتِ وانتشارَ المعارفِ قد جَعَلاَ ،

لهذا النَّوْعِ مِن الإِنتاجِ ، الرُّجحانَ على الإِنتاجِ الصَّغيرِ

ذلك الرُّجحانُ لم يكن بالعامِّ ، ولكنَّهُ المتغلِّبُ ، وان كانَ لا يَنْطَبِقُ على الأَشياءِ التى تَخرُج بطبيعتِها عن دائرةِ تجزُّؤِ العملِ ، أمثالِ الصُّوَرِ الأَنيقةِ ، والنُّقوشِ الفَنِّيَّةِ ، وغيرِها من النَّفائِسِ ، فإِنها لا تُصنَعُ إِلاَّ أفراداً

وعلى ما تَقَدَّمَ ، فكلُّ شىءٍ يَعِزُّ اقتناؤُه على العامَّةِ ؛ وكلُّ شىءٍ يَستَقِلُّ بعمله امرؤٌ أو اثنانِ ؛ وكلُّ شىءٍ يَقتَضِى الإِغرابَ والتَّفنُّنَ ، يَبقَى فى حيِّزِ الإِنتاجِ الصَّغيرِ

أمَّا الإِنتاجُ الكبيرُ فأميَلُ إِلى اُستصناعِ المتشاكلاتِ المبتَذَلاتِ التى ليْسَ لها كبيرُ شأن ؛ فلا تُعوِزُها سلامةُ الذَّوْقِ ، وبَراعةُ الافتِنانِ ؛ لذلك لا يَدخُلُ فيهِ إِصلاحُ الأشياءِ ولا حِفظُها ، إِذ ليست لهما قاعِدَةٌ مُطَّرِدَةٌ

فالمعامِلُ الضَّخمَةُ تَصنع الأشياءَ ، ولكنَّها لا تصلِحُها

مزايا الإنتاج الكبير

نأخذُ بعدَ هذا الاستدراكِ فى بَيانِ ما للإنتاجِ الكبيرِ من المزايا

١ً — تقليلُ نفقاتِ الإعدادِ والصيّانةِ ، بمعنى أنَّ مَعْمَلاً يُصنَع فيهِ خمسونَ ألفاً من الأَنْواطِ[١] ، لا يَشغَلُ من الأَرْضِ والبُنيانِ ، عَشَرَةَ أضعافِ المعْمَلِ الذى يُصنَع فيهِ خمسةُ آلافِ نَوْطٍ ؛ وأنَّ آلةً بُخاريَّةً فى قُوَّةِ مائتى حِصانٍ لا تَتطلَّبُ إنفاقَ عشرةِ أضعافِ ما يُنْفَقُ على آلةٍ دونَها فى قوَّةِ عشرينَ حِصاناً

دَعْ ، أنَّ الأُولى لا تَستهلِكُ من الفحمِ عشرةَ أضعافِ الثانيةِ ؛ وأنَّ خابيةً[٢] تَسَعُ ثلثمائة هكتولترٍ لا تُوازِى عشرةَ أضعافِ خابيةٍ دُونها لا تَسَعُ إلاَّ ثلاثينَ منها ، إلى ما لا يُحْصَرُ من هذه الأَمثالِ

---

(١) جمع نوط وهو كل ما يُعلَّق (٢) الخابية هى ما يُشبِهُ البرميل او الدَّن

٢ً — سَعَةُ صدرِهِ لاستخدامِ آلاتٍ لا يَسوغُ استعمالُ مثلِها ، فى الإنتاجِ المتوسّطِ ، لكثرةِ نفقاتِها

ومن أمثلةِ ذلكَ ، الخطُّ الحديديُّ مِنْ نوعِ (الديكوفيل) الذى يُمَدُّ فى الرَّحباتِ وتُحْمَلُ عليهِ الموادُّ الأوَّليَّةُ أو السِّلَعُ المصنوعةُ ، مِنْ موْضعٍ إلى آخرَ فى جَوْفِ المعْمَلِ ؛ والرَّوافِعُ البخاريَّةِ لإصْعادِ البضائعِ والأدواتِ إلى الطَّبقاتِ العاليةِ ، والمِسرَّاتُ[1] للتَّخاطُبِ بين أقسامِ المعْمَلِ من غيرِ انتقالٍ

٣ً — وقُوفُهُ عند حدٍّ متُقاربٍ فى النَّفقاتِ العُموميَّةِ التى لا تختَصُّ بالاستِصناعِ فى ذاتِهِ : بمعنى أنَّ الوَهينَ الواحدَ لو كانَ على رأسِ ستّينَ عامِلاً أو على رأسِ عشرينَ منهم لكفى فى الحالتَيْنِ ؛ وأنَّ مُشترَى ألفِ بالةٍ مِنَ الصُّوفِ أو القُطْنِ ، وخمسمائةِ طِنٍّ من الفحمِ الحجريِّ لا يَتطلَّبُ مِنَ المراسلاتِ ، والأخطارِ ، والمساعِى — التى تَخُصُّ كلَّ شىءٍ بعمومِهِ — ما يَتطلَّبُهُ مُشترَى مائةِ بالةٍ ،

---

(١) جَمْعُ مِسرَّةٍ وهى (التليفون)

أو مائةِ طِنٍّ . بل الغالبُ أنَّ المشترياتِ تكون أصلحَ ، كلما زادت مقاديرُها ، إذْ أنَّ القادرينَ عليها ينتهزُونَ نُهَزَ الأَسعارِ ، ويحصلُونَ مِنَ الباعةِ على مواعيدَ تُوافِقُهُم ، وتَسُرُّ الباعةَ لِتخلُّصِهم جملةً ، من مقاديرَ كبيرةٍ مخزونةٍ فى متاجِرِهم

وكذلكَ ينتفعُونَ بما تَمنَحُهُ السِّكَكُ الحديديَّةُ أو شركاتُ الملاحةِ ، لأَربابِ الأَسواقِ الكبيرةِ ، من التخفيضِ النَّاتجِ عن كونِها تُنفِقُ على القطارِ الملآنِ أو المركبِ المشحونِ برسمٍ مُستَوفٍ واحدٍ ، أقلَّ مما تُنفِقُهُ على البضائعِ المختلفةِ المرسلةِ إلى عشرينَ أو ثلاثينَ تاجراً أو مُستَصنِعاً

٤ً — إذا كانَ المُنتَجُ الكبيرُ بيتاً تجارياً أو صناعياً ، كانَ أشهرَ بالبَداهةِ من البَيتِ الوَسَطِ أو الصَّغيرِ ؛ فإذا حَسُنَتْ مع هذا سوابقُهُ كانَ أدعى إلى الثِّقةِ والتزَمَهُ عُملاؤُهُ ، ورَحبَتْ فى وجههِ مذاهبُ الائتمانِ أو النَّسيئةِ

٥ً — هذه المزيَّةُ الأَخيرةُ تَربُو على سابقاتِها بما

سنُفَصِلهُ : الإنتاجُ الكبيرُ يُمكّنُ من استخدامِ أُناسٍ أوْفَرَ كفاءةً وأغزَرَ علماً وأحضَرَ ذِهناً للاختراعِ ، من الذينَ يَستخدِمُهم سواهُ ، ويُمكّنُ أيضاً من تجزئةِ العملِ العقليِّ إلى الحدِّ الذى لا يستطيعُهُ غيرُهُ ؛ ذلك لأنَّ فى وسعِهِ مكافأةَ مُوَظَّفيهِ عن سعةٍ ، فإذا أحسَنَ الاختيارَ كانَ لهُ أن ينتقيَ مُديرَهُ من أفضلِ الرِّجالِ ، وأن يستخدِمَ مَهَرَةَ المهندسينَ بالمسانَهةِ ، وحُذاقَ الكيماويّين بحيثُ يُجرّبونَ تجارِبَهُم ويُصلِحونَ الطرائقَ

وبمثلِ هذه الوسائلِ يكونُ النّظامُ تاماً وتبقَى النّفقاتُ قليلةً بالنّسبةِ إلى كلِّ الأشياءِ المصنوعةِ

تلكَ فوائدُ الإنتاجِ الكبيرِ . ويتلخّصُ منها أنَّ مُستَغلاً يكون رأسُ مالِهِ ثلاثةَ ملايينِ فرنكٍ ، وعُمّالُهُ ألفاً ، لو أُحسِنت إدارتُهُ وقُورِنَ بينَهُ وبين عشرةِ مستغلّاتٍ ، رأسُ مالِ كلٍّ منها ثلثمائة ألفِ فرنكٍ ، وعُمّالُهُ مائةٌ ، لرأيتَ أنهُ اكثرُ منها إنتاجاً ، وأنَّ بضائعَهُ أرخصُ ثمناً من بضائعِها

على أنَّ تَجَمُّعَ رؤوسِ الأموالِ، والجماهيرِ من العُمَّالِ فى المستغلاتِ الضخمةِ، نافعٌ فى إنتاجِ الأشياءِ المتداوَلةِ نفعاً يعسُرُ تحديدُه لازديادِه على توالى الأيَّامِ، ولولا ما فى الإنتاجِ الكبيرِ من العُيوبِ والنَّقائِصِ التى تَنْتقِصُ من أطرافِهِ آناً وتَقَوّضُهُ آونةً، لقُضِيَ من زمنٍ بعيدٍ، على وُسْطَى الصنّاعةِ وصُغْراها

نقائصُ الإنتاجِ الكبيرِ

إذا لم تكن الرَّقابةُ غايةً فى الشدَّةِ، أسرعَ التَّلَفُ إلى الإنتاجِ الكبيرِ؛ لأنَّ المصانعَ الكبيرةَ معَ ما فيها من السَّعَةِ والاختلاطِ، إذا وَنَت فيها السَّيْطَرَةُ، جرَّت إلى زيادةٍ فى النَّفقاتِ، وإساءةٍ فى الصَّنعةِ، وتَبْديدٍ فى الموادِّ الأوَّليَّةِ

ولمَّا كانت عينُ المُشرفِ لا تَنالُ كلَّ شىء، فى كلِّ قسمٍ من أقسامِ تلكَ الأمكنةِ العَظيمةِ، أُنزِلَ ضَبْطُ الحسابِ وإتقانُ الدَّفاترِ منَ الصِّناعةِ الحديثةِ،

بمنزلةِ الضَّميرِ من الإنسانِ

غيرَ أنهُ لا بُدَّ مع ذلكَ الضَّبطِ والإتقانِ ، من التَّنْبيهِ المستديمِ ، لِتُستَبْقَى بهِ للإنتاجِ الكبيرِ ، مزيَّةٌ على الإنتاجِ الوَسَطِ .

ومن هنا جاءَت حاجةُ المستثمَراتِ الكبرَى إلى حُسْنِ الإدارةِ على الأخَصِّ ؛ لأنَّ تِلكَ المستثمَراتِ أشبهُ شيءٍ بالجيشِ الذى يُناطُ أمْرُ تَصريفهِ وتَدريبهِ برَجُلٍ فَذٍّ . والرَّجُلُ الفَذُّ إذا تسنَّى وُجودُهُ ، فقد يَجعَلُ القَرْيَةَ الصَّغيرةَ مدينةً كبيرةً بنشاطهِ وتبصّرهِ كما فَعَلَ (كُرُوبْ)[١] الشَّهيرُ فى مدينةِ « اسّنْ » البروسيَّةِ ، وفَعَلَ (شنيدر)[٢] فى مدينةِ « الكريزو » الفرنسيَّةِ فإذا وُجِدَ النَّجاحُ ، فلا بدَّ لاستدامتهِ مِنْ مُثابَرَةٍ

---

(١) ألمانىٌّ وُلِدَ سنة ١٨١٢ ومات سنة ١٨٨٧ وهو صاحب المدافع المصبوبة من الفولاذ المعروفة باسمهِ

(٢) فرنسيٌّ وُلِدَ سنة ١٨٠٥ ومات سنة ١٨٧٥ وهو أحد مؤسّسى معمل الكريزو فى فرنسا الذى يعادل معمل كروب فى المانيا

المُدير أو مجلسِ الإدارةِ ، على الصَّلابةِ والهِمَّةِ ، ولُطْفِ الفِراسةِ التى كانَ عليها المُؤَسِّسون ؛ وإلاَّ فإنَّ الأغاليطَ التى تقعُ فى الإنتاجِ الكبيرِ تَنْتشرُ ويتَرَدَّدُ صَداها بأسرعَ وأوْسعَ ممَّا لو حدَثَت فى الإنتاجِ الوَسَطِ

فإذا ساءَت سُمْعَةُ مَعْهَدٍ من مَعاهدِ العظيمةِ ، بمثلِ هذه العلَّةِ ، عزَّت إقالتُهُ من عثْرَتِهِ . ولو شئنا لذكرنا غيرَ واحدٍ من المَعاهِدِ التى ماتَ عنها مُؤَسِّسوها أو اعتزلوها فلم تمْضِ عليها بعدَهم إلاَّ سنواتٌ مَعْدُوداتٌ ، حتى بارَت وبادَت

فالشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ فى الإنتاجِ الكبيرِ للصَّنعاتِ التى يُهَيْمِنُ عليها مُشرِفٌ أو مديرٌ

بَقِيَ أنَّ ما يُهدِّدُ الإنتاجَ الكبيرَ من التَّلَفِ على الدَّوامِ ، هو من الأسبابِ التى تَرَكَت بجانبِهِ مجالاً للإنتاجِ الوَسطِ ، والإنتاجِ الصَّغيرِ . وهذان النَّوْعانِ مهما اعتوَرَهُما [1] من مُزاحمةٍ ، فإنهما باقيانِ ، لانفرادِ

---

(١) اعتوَر — تداول

أحدهما بالنَّفائسِ الفنِّيَّةِ، وقيامِ ثانيهما بإصلاحِ البضائعِ العاديَّةِ التى تُعْطَبُ

وليسَ هذا القسمُ من العملِ الصّناعيّ بالشىءِ اليَسيرِ؛ بل نَزيدُ على ما تقدَّمَ أنَّ صِغارَ المعاملِ التى تُدَارُ ببراعةٍ، لا يُخشى عليها البوارُ عِند بوارِ السُّوقِ بالمصنوعاتِ العاديَّةِ التى تُخرجُها

جميعُ ما ذكرناه عن الصِّناعةِ فيما سبقَ، ينْطَبِقُ على التِّجارةِ إلاَّ مِنْ بعضِ الوجوهِ، وأخصُّها أنَّ الرَّابطةَ الذاتيَّةَ بين البائعِ والمشترى، قد تحملُ المشترىَ على إيثارِ سِلْعةِ صاحبِهِ؛ وأنَّ طائفةً من العُمَلاءِ يُفَضِّلونَ ابتياعَ الأشياءِ التى تتكرَّرُ حاجتُهُم اليها من أقربِ المتاجرِ اليهم

أمَّا الزِّراعةُ فسنرجعُ إلى مبحثِها فى فصلٍ آخرَ من هذا الكتابِ، وسيرَى مَنْ يُطالِع ذلك الفصلَ، كيفَ تتبدَّلُ مزايا الإنتاجِ حين تُطَبَّقُ قواعِدُهُ على الحقُولِ ومُستغلاَّتِها

حدود الإنتاج

أمّا وقد تحرّينا، فيما سبقَ، الأسبابَ التى يتّسعُ معها نطاقُ الإنتاجِ، فلْنبحث فى هل لهذا الاتساعِ من حدودٍ يقفُ عندَها؟

اثنان من مصادرِ الإنتاجِ الثلاثة يقبلان النُّموَّ بلا انقطاعٍ: وهما العملُ ورأسُ المالِ

العملُ ينمُو إمّا تبعاً لازديادِ السكان، وإمّا لازديادِ ما ينتجهُ الفردُ منهُ؛ وهذا يتأتّى من مهارةِ الرّجلِ أو سعةِ معارفهِ

رأسُ المالِ ينمو بلا تحديدٍ، سواءٌ أفى كميّتهِ أم فى صنعتهِ: أمّا فى كميّتهِ، فلأنّ الادّخارَ يتزايدُ كلّ يوم بين الأممِ التى يعمُّ فيها التبصُّرُ؛ وأمّا فى صنعتهِ، فلأنّ كلّ مستجدٍّ من المالِ المدّخرِ يندمجُ فى آلاتٍ أعظمَ قوّةً وأحكمَ تركيباً من الآلاتِ السابقةِ

بقيَ العنصرُ الثالثُ، وهو الطّبيعةُ، فهذا باعتبارهِ

مادَّةً وهَيُولَى لا يَزيدُ ولا يَنْقُصُ بِفِعْلِ الانسانِ ، بل تَظَلُّ أَبْعادُه أَبْعادَه وخصائِصُهُ خصائِصَهُ

أمَّا إذا نُظِرَ اليهِ من جهةِ المعنَى والنِّسبةِ ، فهو يَقْبلُ المزيدَ ، لأَنَّ الإِنسانَ كلَّما اتَّسعَت معرفتُهُ بالطَّبيعةِ ، منَحَتْهُ مِنْ خيراتِها ما لم تكن بالمانحة ، وإِليكَ المثلَ : رُبَّ شيءٍ موجودٍ إلاَّ أننا جاهلوهُ ، فكأنهُ لا وُجودَ لهُ فإِذا نحنُ عرَفناهُ كانت مَعْرِفَتُنا لهُ مبدأَ وجودِه بالنِّسبةِ إلينا

هذه « أمريكا » كانت قبلَ سنة ١٤٩٢ ، ولا عَهْدَ « لأوربا » بها فكأنَّها لم تَكُنْ

وهذه « أُستراليا » وهذه «الكونغو» كذلك ، فإِنَّ أُولاهما قد كُشِفَت سنة ١٧٨٧ ، وثانِيَتَهُما بعدها بأربعين سنةً أو نحوها

فالطَّبيعةُ من هذا القبيلِ قد نَمَت واتَّسعت فى نَظَرِ العالَمِ المُمَدَّن ، ولا تَبْرَحُ تَنمو وتَتَّسعُ على يَدِ المُستكْشَفَاتِ الجغرافيَّةِ ، دَعِ المخترَعاتِ التى تُلْقِى إلى

الإنسانِ بمقاليدِ قُواها. ولقد لَبِثَت هذه القُوَى مجهولةً ، حتى جاءَ (پپين[١]) فكشفَ سرَّ البخارِ ، وجاءَ (أمپير[٢]) فكشفَ الكهرباءَ . فكائنٌ من قُوَّةٍ غيرِ التى عرفناها ، لا تزالُ وسنى فى مكمنِها حتى يُوقظَها الإنسانُ فتنشطَ إ

إذاً ، فجميعُ عناصرِ الإنتاجِ فى الحالةِ الشاهدةِ ، قابلةٌ للنُّموِّ ، إلاَّ أنَّ هنالكَ فرقاً أساسياً ، وهو أنَّ العُنصُرَينِ الأوَّلَينِ — العملَ ، ورأسَ المالِ — يتَّسِعانِ ويتكاثَرانِ على الإطلاقِ ، بخلافِ العنصرِ الثالثِ — الطَّبيعةِ — فهو إنما يَزدادُ ازدياداً نِسبياً مُفْضياً وإن طالَ أمدُه إلى الوقوفِ عند حدٍّ لا يَجوزُهُ

الوصولُ الى هذا الحدِّ

هـذا هو الخطرُ الذى يُخشَى منـهُ على النَّجاحِ الاقتصادىِّ ، إلاَّ أنهُ لا يزالُ بعيدَ الأجلِ إلى ما شاءَ اللهُ

---

(١) فرنسيٌّ وُلدَ سنة ١٦٤٧ ومات سنة ١٧١٤

(٢) فرنسيٌّ وُلدَ فى ليون سنة ١٧٧٥ ومات سنة ١٨٣٦

من الأحقابِ، وان كانَ بعضُ المنكرينَ من الانجليزِ أشباهُ « ملتوس[١] » و « ريكردو[٢] » و « استيورت ميل[٣] » قد زعموا أننا أصبحنا على كثبٍ منهُ

سنُلقي النظرَ، في فصلٍ تالٍ، على المذهبِ الشهيرِ الذي سُمّيَ بمذهب « الدخلِ والأرضِ »، وليكفينا أن نقولَ الآن، إنّ في الأرضِ كفايةً للناسِ، مدى القرنِ القابلِ كلّهِ؛ بل إنّ مناجمَ الفحمِ والمعادنِ لن تفرُغَ إلى عهدٍ عهيدٍ[٤]؛ وإنّ للعلمِ الزراعيِّ مجالاً شاسعاً للتقدُّمِ ومُضاعفةِ الأرزاقِ

فخلاصةُ ما تقدَّمَ، أنّ الطبيعةَ والعملَ ورأسَ المالِ ستفي بحاجاتِ الانسانِ أدهاراً؛ وأنّ للإنتاجِ متّسعاً من الزمنِ ينمو فيهِ غايةَ النموِّ بفعلِ كلٍّ من هذه العناصرِ الثلاثةِ

---

(١) انجليزيٌّ وُلدَ سنة ١٧٦٦ ومات سنة ١٨٣٤

(٢) انجليزيٌّ وُلدَ سنة ١٧٧٢ ومات سنة ١٨٢٣

(٣) انجليزيٌّ وُلدَ سنة ١٨٠٦ ومات سنة ١٨٧٣

(٤) عهيد - قديم أو بعيد

فى هذا المقامِ يَحسُنُ بنا استدراكُ أمرٍ : وهو أنَّ النَّجاحَ الصناعيَّ — عُهوداً كانَ أم عُقوداً — تَصحَبُهُ فى مَبادئهِ أو خواتيمِهِ نوائبُ ، ومَتاعِبُ

تِلكَ العُهودُ أو العُقودُ ، منهـا ما يكون عَهْدَ نَشاطٍ ومنها ما يكون عَهْدَ سُكونٍ ؛ أمَّا العَهْدُ الذى نحنُ فيـهِ منذُ نهايةِ القَرْنِ المنْصَرِم ، فالنَّشاطُ فيهِ والخِصْبُ فَرسَا رِهانٍ . على أنهُ إذا عُدَّ ، بعدَ هذا ، أنَّ الفلاحَ الانسانيَّ — ومعناهُ الاقتصاديُّ نقصُ العنـاءِ وازديادُ الرَّغَدِ — قابلٌ لاتساعٍ عظيمٍ ونموٍّ مَديدٍ ، فلَنْ يكونَ اتساعُهُ ولا نموُّهُ على وَتيرةٍ واحدةٍ ولا فى حالةٍ مُطَّرِدَة

النَّجاحُ الانسانيُّ أقلُّ فى حقيقتهِ منهُ فى ظاهرهِ

ممَّا يَحسُنُ هنُا التَّنبيهُ عليهِ واللَّفْتُ[1] اليهِ أنَّ الفلاحَ الانسانيَّ ، على جلالَتِهِ ، هو فى حقيقتهِ أقلُّ منـهُ فى ظاهرهِ ، وأنَّ للوَهْمِ دَخلاً فيهِ ، ومن هذا الوهمِ تَتأتَّى

(١) لَفَتَ يَلْفِتُ لَفْتاً ولا يُقال ألْفَتَ ولا استلفتَ

العثراتُ التى يقعُ فيها جمهورٌ من المفكّرينَ أو النّاقمينَ أضلّت الآلاتُ ، والمعارضُ ، والسككُ الحديديّةُ ، والمخترعاتُ المتنوّعةُ ، أفكارَ كثيرٍ من العبادِ ، فمثّلت لهم ما أدركناهُ من الفلاحِ تمثيلاً مجسّماً مُكبّرًا

هذه إحصاآتُ جماعةٍ من الاقتصاديّينَ بشأنِ الآلاتِ ذكرُوا فيها طائفةً مِنَ الحقائقِ الرّاسخةِ ، غيرَ أنهم حشَوْها بالمبالغةِ والتّهْويلِ

مثالٌ مما يتوهّمونَ فى الفلاحِ الاقتصاديّ

إنّا لَمُوْردونَ مثالاً من تلك الأوهامِ التى يَنْجُمُ عنها ما يَنْجُمُ من الضّررِ العظيمِ بالمجتمعِ

حسَبُوا أنّ جُمْلَةَ الآلاتِ البخاريّةِ التى كانت فى « فرنسا » سنة ١٩٠٣ قد بلغَت قُوّتها تسعةَ ملايين وتسعمائة وثلاثةً وخمسين ألفاً وثلثمائة وثمانيةً وستين من الخيلِ البخاريّةِ ، غيرَ داخلةٍ فيها قُوّةُ البحريّةِ العسكريّةِ ، وقالوا إنّ قُوّةَ كلّ حِصانٍ بُخاريٍّ تُعادِلُ قُوّةَ عشرينَ رَجُلاً

بالتقريبِ ؛ ثمَّ استخلَصوا أنَّ فى فرنسا ، عدَا العشرة الملايينِ مِنَ العُمَّالِ الذُّكور — لحماً وعظماً — مائتى مليون عاملٍ — حديداً وفُولاذاً — وقالوا بعدَ ذلك ، إنَّ كلَّ عاملٍ إنسيٍّ يُسخِّرُ لخدمتهِ وتحتَ هيمنتهِ ، عشرينَ رفيقاً معدنياً ؛ ثمَّ خرَّجوا مِنْ هـذا القولِ ، أنهُ كانَ يَجبُ ازديادُ السكانِ فى فرنسا منذ قرنٍ خلاَ على نِسبةِ الواحدِ إلى العشرينَ

مزاعمُ خلاَّبةٌ تُولِّد الإعجابَ فى نفُوسِ قومٍ ، لكنَّها تُثيرُ الحزازاتِ فى نفُوسِ آخرينَ

إذْ يتوهَّمُ أُناسٌ مِنَ الذينَ حسُنَت حالُهم ببطءٍ وتضاؤلٍ أنهم مِنْ منكوبى هذه المدنيَّةِ ، لِظنِّهمْ أنَّ النَّجاحَ العامَّ كانَ أسرعَ من نجاحِهم . وممَّا يُحدِّثونَ بهِ نفوسَهم ، بعدَ ما سمِعُوه عن أعاجيبِ الصنّاعةِ ، قولهُم إنهُ إذا كانَ فى فرنسا تِسعةُ ملايينَ وتسعمائةٍ وثلاثةٌ وخمسونَ ألفاً وثلاثُمائةٍ وثمانيةٌ وستونَ من الخيلِ البخاريَّةِ ، قُوَّتها قوَّةُ مائتى مليونٍ من النفوس ، فكلُّ فرنسيٍّ إذاً ،

كانَ جديراً ألاَّ يَعْمَلَ إلاَّ دونَ ما يعْمَلُهُ عشرينَ مرَّةً وَهْمٌ أقامتْهُ في تِلكَ النُّفوسِ مُغالاةُ بعضِ الاقتصاديّينَ ، فتمكَّنَ

على أنَّ أُحدوثةَ تلك الملايينِ من الخيلِ البخاريةِ ، التي تُعادِلُ قُوَّتُها قُوَّةَ مائتي مليونٍ من الرِّجالِ ، ليست إلاَّ خِدْعةَ التباسٍ أو أُلعوبةَ خيالٍ

فلْنقُلْ ابتداءً إنَّ ثمانيةَ ملايينَ من الأحصنةِ البخاريةِ ، لا يُنتفَعُ بها إلاَّ للنَّقْلِ برًّا وبحراً ، أي أنها تَحمِلُ النَّاسَ أو الأوْساقَ مِنْ جهاتٍ إلى جهاتٍ ؛ ولكنَّها لا تُنتِجُ شيئاً بذاتِها : مِنْ ذلكَ ستةُ ملايينَ وثمانمائةٍ وتسعةٌ وثلاثون ألفاً وسبعةٌ وثلاثونَ حِصاناً لِدَفْعِ قَواطرِ السكةِ الحديديةِ والترامِ ، وتسعمائةٍ وثلاثة وتسعون ألفاً وستة وسبعون حِصاناً لدفعِ السُّفُنِ الكبرَى والصُّغرى

فيُؤْخَذُ من هذا أنَّ التَّجزُّؤَ الموطنيَّ للعملِ قد ازدادَ بحيثُ أنَّ جهةَ كذا تَقْصُرُ إنتاجَها على الخمرِ ، وجهةَ كذا تَقْصِرُ إنتاجَها على المواشي الخ . ثمَّ تَتَبادلانِ

فَضْلَ ما تُنْتِجانِ ؛ وأنَّ المُدُنَ الكبرَى تمتدُّ وتتَّسعُ ؛ وأنَّ الأَسفارَ تَسْهُلُ وتتكاثَرُ ؛ غيرَ أنَّ كلَّ ذلكَ لا يُفيد أن زيادةَ الإنتاجِ تجيءُ على نِسبةِ ازديادِ الانتقالِ برًّا وبحراً

بقيَ لدينا مليونانِ ومائةٌ وواحدٌ وعشرون ألفاً ومائتانِ وخمسةٌ وخمسون من الخيلِ البخاريَّةِ ، منها مليون وتسعمائة وثمانيةٌ وتسعون ألفاً وأربعةٌ وتسعون حِصاناً مُستَخْدَماً فى الصناعةِ التَّحْويليةِ ، ومنها مائةٌ وثلاثةٌ واربعون ألفاً ومائةٌ وواحدٌ وستون حِصاناً مُستَخْدَماً فى الصناعةِ الزّراعيَّةِ

وفى هذا القَدْرِ دَليلٌ على أنَّ إنتاجَ الأرزاقِ لم يتأثَّر إلى الآنَ إلاَّ قليلاً بكثْرِ الآلاتِ

يلى ما استدركناهُ أمرٌ آخرُ هوَ أولَى بالاستدراكِ : تلك الخيلُ البخاريةُ التى يذكرونَها لنا وعِدَّتها تسعةُ ملايين وتسعمائة وثلاثةٌ وخمسون ألفاً وثلثمائة وثمانيةٌ وستون لا يَقِلُّ فيها ما يُستَخْدَمَ لإحداثِ مثلهِ ، بمعنى أنَّ جانباً

مِنْ تلكَ الآلاتِ تُستَصْنَعُ بهِ آلاتٌ نَظائِرُهـا ، أو أدواتٌ ليست مِمَّا يُستَهْلَكُ بذاتهِ

وعلى هذا النَّحوِ تجدُ المطارقَ العالقةَ ومَراجلَ المصاهرِ إنما تُستَعْمَلُ لتكوينِ بضْعٍ من القواطِرِ أو قِطَعٍ من الخطوطِ الحديديَّةِ

تلك الخيولُ البخاريَّةُ ، لا بُدَّ لها من التَّغْذيةِ بالفحم الحجريِّ الذى يُخرِجُهُ من قِيعانهِ مائةٌ وثمانون الفَ عاملٍ ويَنْقُلُهُ إلى الأمكنةِ الأُخرى مِثلُ هذا العَدَدِ من النَّاسِ

تلك الخيولُ البخاريةُ تَبْتَغِى الإيواءَ فى مَنازلَ ، وهذه المنازلُ يُشيِّدُها جُمُوعٌ من البنَّائينَ

تِلكَ الخيولُ البخاريةُ تحتاجُ إلى الحفْظِ والترميمِ ، وهذانِ العَمَلانِ لا يتَسنَّيانِ إلَّا إذا جُلِبَ لهما من الأُجَراءِ ما يَقْتضِيانهِ ، ومن الحديدِ ، والمعادنِ ، والزَّيْتِ ، والشَّحْمِ

تلك الخيلُ البخاريةُ التى تُعادِلُ مائتى مليونٍ من النُّفوسِ ، إنما هى قُوَّةٌ خامةٌ لا قُوَّةٌ خالصةٌ ؛ فإذا أُريدَ تَبْيينُ الخالِصِ منها ، وَجَبَ طَرْحُ ثلاثةِ الأَرباعِ أو

أربعةِ الأَخماسِ وهو مبلَغُ ما يُستَخدَمُ فيها لِصنعِ مِثلِهِ

أَضِفْ إلى ما تقدَّمَ ، أنَّ بأْسَ الحِصانِ لا يُعادِلُ قوَّةَ عشرينَ رجلاً كما زَعَمُوا عن محضِ المبالَغةِ

الخُلاصةُ أنَّ معْظَمَ الأَقوالِ التى يَتبجَّحُ بِها بعْضُ الاقتصاديِّينَ وبعضُ الإِحصائيِّينَ فى هذا المعنى ، ضُرُوبٌ من المُغالاةِ والإِغراقِ تَفْقِدُ معها حقيقةُ النَّجاحِ الصناعيِّ مَعالِمَها . لا جرَمَ أن نموَّ الإِنتاجِ فى هذا القَرْنِ الأَخيرِ كانَ عظيماً ، إلاَّ أنَّ الثِّمارَ النَّافِعةَ التى جُنِيَت منهُ ، ليست فى القَدْرِ الذى يَتوهَمُهُ النَّظَرُ بغيرِ إمْعانٍ

والحقيقةُ أجْدَرُ بأن تُعلَمَ ، وأن تُقالَ ؛ لأنَّ فى معرفتِها وفى ذِكرِها نَفْعاً غيرَ ممنونٍ ؛ ولأنَّ إظهارَها فى هذا الزَّمنِ يَرُدُّ نُفوساً إلى الأَناةِ ، ويُسكِّنُ آلاماً ثائِرَةً ، ويُلطِّفُ أحقاداً متأَجِّجَةً

فهرست

الموجز
فى علم الاقتصاد

	صحيفة
إهداء الكتاب	٣
فاتحة للمعرِّبين	٥
كلمة فى المؤلِّف وفى كتابه	٦
قوَّة الاصطلاح	٩
خاتمة الفاتحة	١١
الغرض من الاقتصاد	١٢
الرَّوابط التى بين الاقتصاد والعلوم الخُلُقية	٢٠

obeikandl.com

القسم الأول

﴿ انتاج الارزاق ﴾

الفصل الأول

صحيفة

المقصود من الإنتاج — الحاجات البشرية ٢٥
المصادر الثلاثة للإنتاج ٢٩

الفصل الثانى

شأن الطبيعة فى الإنتاج ٣٣
التفاوت فى هبات الطبيعة ٣٦

الفصل الثالث

تعريف العمل ٤٨
العمل المنتج والعمل غير المنتج ٥١
العمل الحسّي والعمل المعنوي ٥٢

obeikandl.com

صحيفة

تقسيم الأعمال والصناعات ٥٦
خصائص الانتاج المختلفة فى صنوف الاعمال ٥٨
المناسبة والموازنة بين الحرَف ٦٧

الفصل الرابع

ماهية رأس المال ٧١
منشأ رأس المال ٧٣
كيف يتكوَّن رأس المال ٧٨
إنتاج رأس المال ٨٠
كيف تكوَّن رأس المال فى المجتمعات الحاضرة ٨١

الفصل الخامس

رأس المال الثابت ورأس المال المتداوَل ٨٥
مظاهر رأس المال فى المجتمعات الحاضرة ٨٧
رؤوس الأموال المعنوية — الحذق والتأدب ٩٠
البدائع الفنية — رؤوس اموال ٩٢

obeikandl.com

الفصل السادس

صحيفة

الوجوه الثلاثة التي تقلبت عليها المجتمعات من جهة
رأس المال ٩٦
الأسباب التي يزيد معها جمع رأس المال او ينقص ١٠٢

الفصل السابع

تضافر رأس المال والعمل — المنتج الصغير او المستقل ١١٢
الأسباب القاضية بولاية رأس المال على المستحدثات ١١٥

الفصل الثامن

تجزئة العمل ١٢٤
العمل المشترك ١٢٦
تجزئة العمل ١٢٨
مزايا تجزئة العمل ١٣٠
تجزؤ العمل تبعاً للمواطن ١٣٣
تجزؤ العمل تبعاً للارث ١٣٧
شرائط تجزئة العمل — قول الناقدين فيها ١٣٨
مقوّمات تجزئة العمل ١٤١

obeikandl.com

الفصل التاسع

صحيفة

الأدوات والآلات ١٤٤
مطاعن العامة على الآلات ١٤٦
مزايا الآلات ١٥٠
شرائطُ استخدام الآلات ١٥٥
مآخذ النقّاد على الآلات ١٥٨
حماية الآلات للعمّال ١٦١

الفصل العاشر

الانتاج الكبير والانتاج الصغير – الأوهام القائمة
حول نموّ الانتاج ١٦٦
الانتاج المنحصر فى معاملَ كبيرة ١٦٧
مزايا الانتاج الكبير ١٦٩
نقائص الانتاج الكبير ١٧٣
حدود الإنتاج ١٧٧
الوصولُ الى هذا الحدِّ ١٧٩
النَّجاحُ الانسانيُّ أقلُّ فى حقيقتهِ منهُ فى ظاهرهِ ١٨١
مِثالٌ مما يتوهَّمونَ فى الفلاَحِ الاقتصاديِّ ١٨٢

obeikandl.com

جدول الاصطلاحات

يَتَضَمَّنُ هذا الجدولُ بعضَ أسماءٍ من اصطلاحِ غيرِنا أقررناها، وأسماءً من اصطلاحِنا تَوَخَّينا فيها أن تكون ممَّا يرجعُ الى مصادرَ وأفعالٍ ومُشتقَّاتٍ تمشى مع طَبيعةِ اللُّغةِ العربيـةِ ولا تأبى مُجاراةَ الأغراضِ الاقتصاديةِ المتفرّعة منها على اختلافِها

الجُنَّة : وهو كل ما يؤوى إليه و يُستجَنُّ بهِ Abri

المدبّر Administrateur

المتعشّق : Amateur

أو الصابى (الغاوى)، ومصدراهمـا التعشُّق والصبوة وقد أهملنا الثانية مراعاة للعامة

الاستهلاك : Amortissement

ومعناه هنا تجنيب شىء فى كل سنة من الدَّخل لتجديد ما يتلف من الآلات

التَّخَرُّج : أى طلب الصناعة والفن الحسّىّ Apprentissage

المتقحّم : Aventurier

أى الأُفُقِيُّ — نسبةً الى الأُفُقِ — وهو الذي لا يبالى أين حلَّ وراءَ نفعٍ يجذبهُ

الدَّوَّاسة : آلة الدراسة Batteuse

المِفْضَلاتُ : Bonnetrie

جمع مِفْضَلَةٍ ومنها الفِضْلَةُ وهى الانسجة البيضاء

صناديق القَعَد والقعود : Caisse de retraites

أى الذين لا عمل لهم

الزَّلَّالُ : Canot

الزورق الصغير الذى لا يسع الا واحداً أو اثنين

المموَّلُ : كل ذى رأس مال Capitaliste

التجنيب ، التموُّل ، التجميع : Capitalisation

أى احراز شئ ووضعه فى جانب ، وهو توسيع نطاق رأس المال باستنباط شىء منه وضمّهِ اليه

ابن مرَّتهِ : Capital fongible

أى الذى يُستَهلكُ فى مرة واحدة

رؤوس الأموال المُتعة : Capitaux de jouissance

الطبقات : Les castes

أى الفِرَق المتفاضلة المتفاوتة فى الأقدار تفاوتاً كان لازباً بحكم ذلك الزمان

البدائع الفنّية او الروائع : Chefs-d'œuvre d'art

الفراغ : Chômage

وهو الخلوّ من العمل قهرياً كان أم اختيارياً

الاستجمام : استجماع النفس واحتباسها لأمرٍ ما Contention

العريف : مقدّم العمّال Contre-maître

الملاءَمة : وضع الشئ بجانب ما يوافقهُ Combinaison

الكرّة Course

المخرَّم : دَنتلاً Dentelle

المُدِير Directeur

مباشرةً : Directement

ومنها المنتِج المباشِر وهو الذي يعمل عملاً ما بيدهِ وملامستهِ producteur direct

رَقابة النظام : Discipline

أى خشية مخالفتهِ من قولهم رقَب ربه أى خشيَهُ

التأدُّب : أي طلب العلم والفن المعنويّ Éducation

العنصر الفاعل Élément actif

العنصر المنفعل Élément passif

الاستحداث والمكافلة والالتزام والمشروع : Entreprise

المشروع هنا مشتقة من شرَعَ بمعنى وَضعَ وسَنَّ ، ويُلمحُ فيها معنى آخر من قولهم شرَعَ المنزلُ أى صارَ على طريق نافذ . فاذا أريد الأول كان المشروع بمعنى الابتكار واذا أريد الثانى كان بمعنى لفظة établissement أى البناء

المستحدِث : Entrepreneur

مبتكر المشروع ومديره معاً ، ومرادفاه المكافِل والملتزِم

الادّخار والتأثيل Epargne et économie

الإقساط : روح العدل Esprit de justice

المناسج : Fabriques de tissu ou ateliers de tissu

جمع منسج بفتح الميم ويقصد بهِ محل النسج ؛ أو مِنسج بكسر الميم ويقصد بهِ آلة النسج

المستصنع Fabriquant

السوق الدوريَّة : Foire

وهى التى تقامُ على مواقيتَ منظمـةٍ ، كالموالدِ عندنا واسواق القُرى

الوظيفة : Fonction

الجُعل والمرتّب – أطلقهـا العرف على كل عمل يترتب عليهِ جُعل ولا ينافى ذلك الفصيح

ذخيرة الكفالة : Fond des roulement

اى الإنفاق على ادارة العمل

المصب والمصهر : بمعنى، لأن ما يُصهرُ عادة يُصَبُّ Fonderie

المحصَّلُ : Fonds

اى رأس المال المعنوىُّ الناتج من التأدب والاختبارِ

القوَّةُ الانتشاريَّةُ Force expansive

المَصاهر : Forges / hauts fourneaux

جمع مَصهر بفتح الميم ومعناهُ كل مكان تذاب فيهِ المعادن بأنواعها وتطبع ، ومعناهُ كذلك الأفران الحارَّة التى تذيب أصلب المعادن

الجُرم : زورق كبير بغير شراع Galère

الشِّفُّ : نسيج رقيق جداً Gaze

الغازاتُ : Gazes

أبقيناها على هذا الجمع السالم لأنَّ ألِفَها ليست عربيَّةً فنعلمَ ان كان أصلُها واواً أو ياءً فنحن لا ندرى أنقول أغواز أم أغياز

بغير مباشرة : Indirectement

ومنها المنتجُ غير المباشر producteur indirect

الصناعة الاستخراجية Industrie extractive

الصناعة التحويلية Industrie manufacturière

الفائدة : Intérêt

ولم نقل الرّبا لما سبق الى عقيدة الجمهور من ان المقصود به ما يتجاوز الحد بدليل دخوله فى باب التحريم ؛ ولهذا خصصنا لفظة الربا بكلمة (usure)

التشبُّه : المحاكاة Imitation

المُجازِف Imprévoyant

اليوميَّة : أى يوم العمل Journée de travail

السُّفتَجة : Lettre de change

بوجه عام هى الورقة المالية كما ذكرنا فى صُلبِ هذا الجزء ، وبوجه خاص على ما ستراه فى الجزء الثالث ، هى ان

يُعطِي المرء مالاً لآخر ، وللآخر مالٌ فى بلد المعطَى فيوفِيهُ اياه ثَمَّ ، فيستفيد أمن الطريق ، وفعله سفتَجَ بالفتح ويدخل فى معانى هذه اللفظة الكتاب الذى يعطيهِ كل مصرِف لتحويل مسافر ذى وديعة لديه على المصارف فى الامصار الأخرى واسمه بالفرنسية Lettre de Credit

السُّنن : Lois naturelles

جمع سنَّة ، وهى قانون الطبيعة الذى لا يتبدَّل ولا يتحوَّل : قال الله تعالى ولن تجِد لسنَّة الله تبديلاً . جعلناها مكان لفظة النواميس التى شاع استعمالهـا بمعنى القوانين الثابتة وليست من ذلك فى شىء

محايك الجوارب Machines à bas

المِجزَأَة : أو الآلة المجزِّئة Machine à diviser

المِطرَزَة : اسم آلة للخياطة Machine à coudre

اللُّحمةُ والسَّدَى Maille

السِلعىّ ، بائع الأشتات : او المتفرّقات Marchand de détail

السوق : ثبتت أم قامت بغير ميقات Marché

المِطرقة العالقة : Marteau pilon

مطرقة ضخمة للحديد تحرَّكُ بالبخار والهواء المضغوط والماء

الأمَّات : Métropoles

الأقطار التى تتبعها المستعمرات ولم نجمعها على أمهات لانها جمع ما لا يَعقِلُ

الحَصَّادة : آلة الحصد Moissonneuse

النفائس : Objets de luxe

أو المرفّهات التى تجىء بعد الحاجة ، ومن مادتها نَفُسَ أى صار نفيساً واستنفسَ أى طلب النفيس من كلّ شىء أو اختاره ، فهى بهذا المعنى أجمعُ من الكماليات وأوفى

الاشياء المحوَّلة Objets manufacturés

الاستقصاء : Observation

آثرناها على لفظة المراقبة التى شاع استعمالها ؛ لأن الغرضَ منها هنا النظرُ فى الشىءِ المتسلسل الى أقصى غايته و بذلك تتمّ فائدة المراقبة

الصانع الآلىّ أو التطبيقىُّ Ouvrier mécanicien

التُّحف والطُّرَف Œuvres d'art

الوهين : هو الذى يُوزّع الصنعات و يراقب العمل Patron

المعلَّقة : أى الساعة التى تُعلَّق Pendule

المِضراب : Piano

آلة وترية كانت للعرب ثم دَثَرَت فاستعرنا اسمها للبيانو

القوَّة البدليَّة : Le pouvoir d'achat

أي قابليَّةُ الشىء للبيع والشراء

الفعليُّ : Pratique

ولم نقل العمليّ لأن اكثر ما فى هذا الكتاب يدور على لفظة العمل ومشتقاتهِ ، فتفادياً من اللبس عمدنا اليها

التبصُّر : أى تسليف النظر فى العواقب Prévoyance

المبدأ : Principe

أقررناها بالمعنى الذى شاع لقيامها بالغرض الجديد منهـا : وهو أن كل رأى او فكر يسمى بها يكون بمنزلة الأساس من كل رأى او فكر ينطبق عليهِ

ثمن التكلِفة Prix de revient

أنتج : أى أخرَجَ الشىء كما هو فى نتيجتهِ Produire

الإنتاج Production

المنتَج Produit

القابلية للإنتاج Productivité

المنتِج Producteur

الميرة الصناعية : Provision industrielle

هي ما يعرفونهُ بمعنى المؤونة . والمؤونة في اللغة الفصحى لا تفيد معنى الذخيرة وانما معناها الكلفة والمشقة

الفلزّات : Quincaillerie

كلُّ ما يَنفيهِ الكِيرُ من خبَثِ الحديد والحجارة ومعادن الأرض ، سميناً بها الخردوات

الخردَئِيُّ Quincailler

الرزق : Les richesses

وجمعه الأرزاق ، يراد به كل شيء حسيّ او معنويّ يفي بحاجة من حاجات الانسان وهو أشمل من الاموال والاعيان لأنهُ يتناول من الاغراض الاقتصادية ما لا يتناولان

وقد كانت العرب تفهمه هذا الفهم قال المعرّي

هل أنت الاَّ مثلَهنَّ وانما خيرُ الحياة وشرُّها أرزاقُ

وقال آخر

أنا لم أُرزَق مودَّتها انما للمرءِ ما رُزِقا

وقال صاحب جوهرة التوحيد

«والرزق عند القوم ما به انتُفع» على انَّ لفظة richesse

وهى للمفرد تجمع بين معنى الرزق ومعنى الثروة ، فحيث كانت الثروة معنىً لها ، سميناها بها

العلوم الخُلُقيَّـة Sciences morales

ابن الارض : Le serf

كانت طبقةٌ من النـــاس ، خصوصاً فى القرون الوسطى ، مُسترَقَّةً استرقاقاً خاصًّا بمعنى انها كانت لا تستطيع مفارقة الأرض التى تعمل فيها ، ولم نجد خيراً من هذه اللفظة لوصف تلك الحالة

السلسلة Série

التحرُّر : Spécialisation

اى التخصُّص لحرفة أو تجارة أو نحو ذلك

الصَّنَعَات : Tâches

جمع صنعةٍ وهى كل جزءٍ من الصناعةِ يُخصّ بهِ فردٌ ، وكل عملٍ موقوتٍ يُخَصُّ بهِ فردٌ ، وكل عملٍ يُعطَى مقاولة

الحِذْق Talent

الاكتناه : Technologie

معرفة الشئ بكنهه أى بصميمه وحقيقته . آثرناها على قولهم علم الخصوصيات أى علم كل شىء بخصوصه ؛ لأنهـا تفى

بالمراد من اللفظة الفرنسية ولها من المشتقات ما يماشيها فى تنوُّع معانيها

المِسَرَّة : التليفون Téléphone

المِلْزَمة : Tenaille
آلة مركَّبة من قطعتى حديد أو خشب لضغط الاشياء وإلزامها

خَطَفَاتُ اليَدِ : Tours de main
ومعناها الحيلة الصناعية للاختصار

المقطورة : أردنا بها كلَّ ما تجرُّهُ القاطرة Wagon